

الزيارة النبوية بين البدعية والشرعية

تأليف

سماحة العلامة السيد

محمد بن علوي بن عباس المالكي الحسني

خادم العلم بالحرمين الشريفين

٢١٥,٢

ج ٢

محمد بن علوي المالكي الحسني.

الزيارة النبوية بين البدعية والشيوعية / محمد بن علوي المالكي
الحسني، التديم أحمد عمر هاشم، بيروت: المطبع النشائي، ٢٠٠٠.
٢٠٠ هـ.

بيلوجرافية: ص ١٨٣ - ٢٠٠.

١ - السيرة النبوية.

٢ - المسجد النبوي.

٣ - المقابر - زيارة.

٤ - الحلال والحرام (فقه إسلامي).

٥ - أحمد عمر هاشم، مقدم.

ج - العنوان.

المجمع النشائي ١٤٢١ هـ

بيوتلي - الإمارات العربية المتحدة

ص.ب ٢٣٨٠ - هاتف ٦٢١٥٣٠٠٠

Email: library@ns1.cultural.org.ae

http://www.cultural.org.ae

حقوق الطبع محفوظة للمجمع النشائي



الزيارة النبوية بين البدعية والشرعية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن منهج السلف في فهم النصوص يتسم بالاعتدال دون إفراط أو تفريط ويؤكد على جمع شمل الأمة من خلال دعوة القرآن الكريم والحديث الشريف.

ولم يكن منهج السلف - يوماً - يعرف الجمود ولا التشدد لأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قرر أن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه.

وقام منهج السلف على فهم النصوص من كتاب الله أولاً فما أجمل في موطن فُضِّل في آخر، ثم من حديث رسول الله ﷺ وسنته المشرفة المفضلة والمفسرة لكتاب الله تعالى، ثم بما أثر عن الصحابة والتابعين.

وكان منهج السلف بعيداً كل البعد عن العصبية العمياء، بعيداً عن الجمود، بعيداً عن العنف والتشدد لا يتعصب لرأي دون رأي، ولا يَصُم الآذان عن كل ما فيه صلاح الأمة.

ولم تكن الآراء الاجتهادية أو اختلاف وجهات النظر في فهم النصوص - عند سلفنا - مدعاة ليكفر بعضهم بعضاً. أو يحكم البعض على

الآخر بالفسق أو البدعة أو غير ذلك مما يشاهد اليوم!!!!

بل كان سلفنا يرون أن الآراء الاجتهادية ما دامت لا تتصادم مع كتاب الله تعالى ولا مع السنة النبوية الصحيحة لا يردونها بل يأخذ منها أهل كل عصر ومصر ما يلائم الزمان والمكان، كما قرر إمام دار الهجرة الإمام مالك رضي الله عنه حين قال: (إن اختلاف العلماء رحمة الله بهذه الأمة كل يرى ما صح عنده، وكل على هدى، وكل يريد وجه الله).

ومن هذا المنطلق جاء هذا الكتاب النفيس يحمل بين دفتيه موازين البحث العلمي النزيه، ويُؤصل القواعد الثابتة للحقائق العلمية والدينية، مُتَّسِماً بوسطية الإسلام دون غلو أو تقصير.

ويأتي هذا الكتاب في وقت غدت أمتنا الإسلامية في أمس الحاجة إلى هذا الصوت العاقل المستنير، وإلى الدعوة السمحة البعيدة عن الجمود أو الشطط.

يأتي هذا الكتاب لينافح عن حقائق الدين التي فسرهما كل ذي هوى حسب هواه، وجنح المغالون إلى تفسير النصوص بما يؤيد مذاهبهم وأهواءهم حسب فهمهم - هم - دون سواهم.

وكانهم - للأسف - أوصياء على هذا الدين الذي لخص الله تعالى رسالة رسوله ﷺ في آية واحدة حين قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

إن التعصب للرأي وزني آراء الغير بالخطأ أمر خطير يضر بالأمة ويقضي على الروابط الإنسانية فيها، ويُوقف روح الفهم والاجتهاد، ويغلق أبواب الأمل والعمل، ويُفرز أعداء جدداً للأمة، نحن في جُلٍّ من هذا كله!!

إن الجمود والعصبية، نوع من الجهل والصلف الذي يمقته سلفنا

ومنزلتهم.

وبعد: فلاني أقدم للقراء هذا الكتاب أقدم منهجاً يرسم طريق الإصلاح لمن يريدون الله ورسوله والدار الآخرة. لمن يَبْنُونَ فلا يهدمون، ويجمعون ولا يفرقون، ويقومون بالإصلاح بالقدوة والسلوك قبل القول والتوجيه.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب كل قارئ، وأن يكون دعوة حق ونداء صدق، يستجيب لدعوته الذين نُدُوا عن المنهج وغرهم بالله الغرور، وأن يَثُوبُوا إلى رشدهم، وأن يجمعوا كلمة الأمة، وأن لا يزيدوا من أعدائها، فنحن في مرحلة أحوج ما نكون إلى جمع الكلمة ورأب لصدع وتوحيد الصف.

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ وبالله التوفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه. آمين.

أ. د. أحمد عمر هاشم

رئيس جامعة الأزهر الشريف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فهذا بحث مختصر عن مسألة مهمة كثر فيها الخلاف بين طلبة العلم وهي مسألة شد الرحال إلى زيارة النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وقد كنت كتبت قبله كتاباً جامعاً لمباحث الزيارة وما جاء فيها من نصوص وآثار وأحكام وأشعار وأذواق ومعارف مع التوسع في دراسة أسانيد أحاديثها وتخريجها وسميته: (شفاء الفؤاد بزيارة خير العباد)، وطبع أكثر من مرة في أبو ظبي، وفي دبي، وفي القاهرة، وفي بيروت، وفي المغرب، وفي سنغافورة، ونفدت نسخه في مدة وجيزة.

ثم إنه قد ظهر في موسم الحج هذا العام (١٤١٩ هـ) كتاب أساء إلى المسلمين وكثر عليهم صفوفهم وهم في زيارة رسول الله ﷺ؛ فكان أكبر إيذاء لهم وجرح لشعورهم وهم حجاج زوار قاصدون وجه الله سبحانه وتعالى.

إذ يقول هذا المتعدي: إن زيارة رسول الله ﷺ بعد موته مفسدة راجحة لا خير فيها!! فأزعجنا هذا الافتراء والتعدي وسوء الأدب على مقام رسول الله ﷺ، لذلك أحببت أن أشارك بهذه الرسالة في الدفاع عن مقام رسول الله ﷺ، والذب عنه، وهو أقل ما يقدمه الحبيب لحبيبه، والمؤمن لنبيه، وهو ليس غلوّاً محقوتاً، ولا إطرأ مذموماً، وإنما هو واجب إيماني على رقبة كل مسلم موحد غير على من يحب، انطلاقاً

من قوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين».

وأنا مؤمن موحد أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وقد رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، آمنت بالله وبأسمائه وصفاته، ويرث من كل شرك وضلال، لا أعبد إلا الله وحده، ولا أشرك به شيئاً، فماذا ينقص من إيماني هذا لو سافرت قاصداً زيارة نبي الله وحبيب الله محمد رسول الله معتقداً أنه عبد الله ورسوله الذي أرسله لهداية البشر، وأنه أدى الرسالة، وبلغ الأمانة، وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين، فانتقل إلى الرفيق الأعلى بعد ما تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

نحن والحمد لله على هذه العقيدة الصافية السليمة، وعليها السواد الأعظم من علماء الأمة المحمدية القائلين بمشروعية زيارة رسول الله ﷺ، وشد الرحل إليه والتوسل به إلى الله سبحانه وتعالى، داعين الله معتقدين أنه النافع الضار، وأنه لا معبود بحق سواه، وأن أحداً لا ينفع ولا يضر ولا يشفع إلا بإذنه جل جلاله وعظم شأنه، كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه إنه سميع قدير، وبالإجابة جدير. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه:

الفقير إلى عفو ربه الغني

محمد بن السيد علوي المالكي الحسني

مقدمات أولية مهمة

أولاً: حقيقة مسألة شد الرحال للزيارة:

مسألة الزيارة مسألة فقهية تتعلق بها الأحكام الشرعية من حلال وحرام ومكروه ومندوب، ولا صلة لها بحديث: «لا تشد الرحال» وليست من القضايا العقدية.

وقد جعلها بعض المتنطعين - هدام الله إلى الصراط المستقيم - قضية اعتقادية مثل ما فعلوا تماماً بقضية التوسل بالنبي ﷺ حيث جعلوها قضية اعتقادية توحيدية، وينوا عليها الحكم بالشرك والكفر والإخراج عن الملة، مع أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يقرر في رسائله أنها - يعني قضية التوسل - قضية فقهية.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: فكون البعض يرخص التوسل بالصالحين، وبعضهم يخصه بالنبي ﷺ، وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه، فهذه المسألة من مسائل الفقه، وإن كان الصواب عندنا قول الجمهور من أنه مكروه فلا ننكر على من فعله ولا إنكار في مسائل الاجتهاد^(١).

وهذا يدل على جواز التوسل عنده، غاية ما يرى أنه مكروه في رأيه عند الجمهور، والمكروه ليس بحرام فضلاً عن أن يكون بدعة أو شركاً.

(١) فتاوى الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مجموعة المؤلفات، القسم الثالث ص ٦٨ التي نشرتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

قلت : وقد جاء هؤلاء المنتسبون إلى السلفية فجعلوا قضية الزيارة وشد الرحل إلى زيارة نبينا محمد ﷺ قضية إيمان وكفر وتوحيد وشرك ، وراحوا يخلعون ألقاب الضلال والكفر والشرك على كل من يخالفهم في هذه المسألة - فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم - مع أنهم متفقون جميعاً على مشروعية شد الرحل إلى ذلك البناء المسمى بالمسجد النبوي بلا خلاف .

فإذا قال القائل : شددت الرحل إلى زيارة النبي ﷺ للصلاة والسلام عليه في مسجده وزيارة صاحبيه ومن في تلك البقاع الطاهرة ، ورؤية المآثر والمشاهد التي هي معاهد الوحي والتنزيل ومواطن الإيمان والجهاد ، إذا قال قائل : أنا مسافر لهذا القصد المبارك ، قامت القيامة ، ونزلت المصائب ، وزلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، وحكموا عليه بالضلال أو الشرك ، وإن خففوا الحكم حكموا عليه بالبدعة ومخالفة السنة النبوية على أضعف الأحوال الإيمانية ، ويقول المنكر : إن القصد الشرعي الصحيح بالزيارة إنما هو للمسجد ، فلا تقل أنا مسافر لزيارة الرسول ﷺ ، وإنما قل : أنا مسافر للصلاة في المسجد النبوي . وإنني لأعجب كيف استحق هذا المسجد هذا الفضل وأصبح من المساجد التي تشد إليها الرحال !! أليس لأنه مسجده عليه الصلاة والسلام ، وإلا فأي فرق بينه وبين بقية المساجد ؟ وإذا كان شرف المسجد وفضله لأجله ﷺ فكيف تسن زيارة المسجد وتحرم زيارة من شرف المسجد لأجله ﷺ ؟ .

والحاصل أن الخلاف في مسألة الزيارة والتوسل هو خلاف في الفروع ، ومثله لا يصح أن يشنع أخ به على أخيه أو يعيبه به ، وأن من قال به متمسك بأدلة ثابتة ثبوت الجبال الرواسي ، وردها لا يجيء إلا من متعنت أو مكابر ، فإن لم تقنع فاسكت وسلم ولا تشنع ؛ فالخلاف في الفروع لا يحتمل هذا الإفراط ، سلك الله بنا سواء السبيل .

ثانياً : عدم الأمانة في عرض القضية :

عندما يتحدث بعضهم عن مسألة الزيارة فإنه يعرض فكره ورأيه متحكماً في النصوص، مستحوذاً على الأدلة بفهمه من حيثية ما يراه هو صحيحاً، وكأنه ليس في الباب إلا ما يراه، وكأن قوله في إنكار الزيارة وتحريم قصد السفر إليها هو الحق المتفق والمجمع عليه بين أئمة الأمة دون اعتبار لأي قول أو الإشارة إليه، وهذا ولا شك جريمة في حق النصوص، وجناية على الأحكام الشرعية، والواجب عليه أن يعرض المسألة بكل أقوالها وأدلتها، ثم هو يرجع بعد ذلك ما يشاء مما يظهر له، وبهذا يكون قد أدى الأمانة وحفظ العلم كما هو شأن أئمة السلف ممن تقدم في مسائل الخلاف التي تعرض الأحكام وأدلتها ومناقشتها.

ثالثاً : الزيارة ليست من المناسك :

يظن بعضهم أننا نعتبر الزيارة النبوية من مناسك الحج، ولا أدري من أين تسرب هذا الفهم السيئ، وهذه كتب المناسك في جميع المذاهب الفقهية الإسلامية المتبعة المعروفة وهي مشتملة على الواجبات والآداب والمندوبات والسنن المطلوبة المتعلقة بالحج، وليس فيها ذكر الزيارة على أنها من المناسك (سواء الحج والعمرة)، ولعل هذا التصور حصل عندهم لأنهم يرون مباحث الزيارة بعد أبواب المناسك.

أما كونها تذكر في كتب الفقه بعد أبواب المناسك فهذا لمجرد الترتيب من حيث إن الحاج قد قطع المسافات البعيدة وأنفق الأموال الطائلة حتى وصل إلى الحج فيناسب أن يغتنم فرصة الزيارة وهو بقرب الحبيب وليس بينه وبينه سوى أميال، لذلك تذكر أحكامها وآدابها وما جاء فيها بعد أبواب المناسك، وهذا كترتيبهم لأبواب الصلاة قبل

الصيام، ثم الصيام قبل الزكاة، ثم الزكاة، ثم حج بيت الله، وقد يختلف بعض هذا الترتيب في بعض الكتب. والحق أن الزيارة مشروعة ومطلوبة بذاتها استقلالاً، وفيها كتب خاصة بها كما أن المناسك لها كتب خاصة بها وبأحكامها.

رابعاً: الخطأ في الجور بالحكم على أحاديث الزيارة:

شاع بين كثير من الناس أن أحاديث الزيارة كلها ضعيفة، بل موضوعة وهو خطأ بلا ريب، ومصادمة لقواعد الحديث بلا مين، ولا يصدر عن محقق ممارس للحديث، خبير بقواعد الجرح والتعديل، بصير بالنقد والتخريج.

ويكفي اللبيب قول الذهبي الحافظ الناقد عن أحاديث الزيارة: طرقه كلها لينة لكن يتقوى بعضها ببعض لأن ما في روايتها متهم بالكذب. (كذا في المقاصد الحسنة للسخاوي ٤١٢).

ونقله أيضاً المناوي (في فيض القدير ١٤٠/٦). كما أن بعض العلماء صححها، أو نقل تصحيحها كالسبكي، وابن السكن، والعراقي، والقاضي عياض في (الشفاء)، والملا علي قاري شارحه، والخفاجي كذلك في: (نسيم الرياض ٥١١/٣).

وكلهم من حفاظ الحديث وأئمة المعتمدين، ويكفي أن الأئمة الأربعة رضي الله عنهم وغيرهم من فحول العلماء وأركان الدين قالوا بمشروعية زيارة النبي ﷺ كما نقله عنهم أصحابهم في كتب فقهم المعتمدة، وهذا كاف منهم في تصحيح أحاديث الزيارة وقبولها، لأن الحديث الضعيف يتأيد بالعمل والفتوى كما هو معروف من قواعد الأصوليين والمحدثين.

والحاصل: أن الأحاديث الدالة على زيارة قبره ﷺ بخصوصه، منها ما هو حسن بل صحيح أو حسنه بعض الأئمة كابن السكن والسبكي والسيوطي، وإلى الحسن تكاد تصرح عبارة الذهبي، ومن أحسنها ما روي من طريق موسى بن هلال العبدي عن عبد الله بن عمر العمري، وعبيد الله بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي».

والصواب: إثبات رواية العبدي للحديث عن العمري المَكْبُر والمُصَغَّر، والمَكْبُر وإن كان فيه كلام لكنه حسن الحديث. وقال ابن معين في حديثه عن نافع: صالح ثقة.

والْحُجَّة في قول يحيى بن معين إمام الجرح والتعديل وغيره من الأئمة الذين قبلوا حديث العمري.

وموسى بن هلال العبدي روى عنه أئمة حفاظ، وهو من شيوخ أحمد، وقد قال عنه الذهبي في الميزان (٢٢٦/٤): صالح الحديث. وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس به.

ومن أحاديث الزيارة ما هو صالح للاحتجاج على طريقة أبي داود السجستاني في سننه.

وصفة القول: أنَّ أحاديث زيارة القبر الشريف تصلح لإقامة صلب الدعوى، ومن الجراءة الحكم عليها بالوضع كما زعم بعضهم.

الزيارة النبوية في القرآن

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.

ومعناه: أن الناس عند ظلمهم أنفسهم وسيلتهم إلى قبولهم والعفو عنهم وفوزهم برحمة الله إياهم وقبول توبتهم، أن يأتوك تائبين مستغفرين، فإن جاؤوك مستغفرين وتكرمت عليهم بالاستغفار لهم، فإنهم يجدون من الله ما أملوا، ويظفرون منه عز وجل بما قصدوا.

فالله سبحانه وتعالى علّق قوله: ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ على مجيئهم إليه، واستغفارهم، واستغفاره لهم، ولم يكتف منهم بمجرد استغفارهم، ليظهر كمال فضل زيارته ﷺ والمجيء إليه والانتقال لأجله.

يظهر سبحانه كمال فضل زيارته دون فرق بين قريب الدار وبعيدها، ولا بين زيارته صلوات الله وسلامه عليه في حياته وبعد وفاته، فإن من زاره بعد وفاته فهو كمن زاره في حياته، فالآية الكريمة مرغبة أكمل ترغيب في زيارته ﷺ والمجيء نحوه والسفر إليه.

ففوز كل زائر له ﷺ بغفران الله تعالى له ورحمته إياه، عام متى تحققت علته، وهي الزيارة والاستغفار من أي مكان كانت الزيارة، وفي أي وقت حصلت.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْكَوْثُ فَقَدْ وَفَّعَ أَعْرُوهُ عَلَى اللَّهِ﴾. إن لم يكن نصًا للزيارة فلا شك أن زيارته ﷺ لا سيما من الأمكنة البعيدة من الهجرة إلى الله ورسوله، فمن

زاره عليه الصلاة والسلام، فهو ممن يدخل في هذه الآية ونحوها، فإن لم تكنها فإنها في معناها كما لا يخفى على منصف.

عموم الآية لجميع الأحوال:

وهذه الآية الكريمة «وَلَوْ أَكَّنْتُمْ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ جَاؤُكُمْ فَاِنتَفَرُوا اللَّهُ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ قَوَّامًا رَحِيمًا» تشمل حالتي الحياة وبعد الانتقال، ومن أراد تخصيصها بحال الحياة، فما أصاب لأن الفعل في سياق الشرط يفيد العموم، وأعلى صيغ العموم ما وقع في سياق الشرط كما في إرشاد الفحول (ص: ١٢٢). وتخصيصها بأحدهما يحتاج إلى دليل وهو مفقود هنا، فإن قيل: من أين أتى العموم حتى يكون تخصيصها بحال الحياة دعوى تحتاج إلى دليل؟.. قلنا: من وقوع الفعل في سياق الشرط، والقاعدة المقررة في الأصول أن الفعل إذا وقع في سياق الشرط كان عاماً لأن الفعل في معنى النكرة لتضمنه مصدراً منكرأ، والنكرة الواقعة في سياق النفي أو الشرط تكون للعموم وضعاً. انتهى ملخصاً من الرد المحكم المتين (ص ٤٤) ورفع المنارة (ص: ٥٧).

توضيح مفتي مكة المكرمة:

قال العلامة الفقيه الشيخ جمال بن عبد الله شيخ عمر مفتي بلد الله الحرام موضحاً معنى الاستدلال بالآية على المطلوب:

ولذلك فهم العلماء منها العموم للجائين، واستحبوا لمن أتى قبره ﷺ أن يقرأها مستغفراً الله تعالى مع حكاية العتبي التي ذكرها المصنفون في المناسك، والمؤرخون، وكلهم استحبوها للزائر، ورأوها من آدابها التي يسن له فعلها، ويستفاد من وقوع «جاؤوك» في حيز الشرط

الدال على العموم أن الآية الكريمة طالبة للمجيء إليه من بعد ومن قرب
بسفر وبغير سفر^(١).

موقف كبار المفسرين من معنى الآية:

وقد فهم المفسرون من آية ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ عموم المجيء إليه ﷺ في حياته وبعد وفاته، ولذلك تراهم يذكرها في تفسيرها حكاية العتبي أو الأعرابي الذي جاء زائراً قاصداً فزار وتوسل بالنبي ﷺ. وممن ذكرها القرطبي وابن كثير.

رواية القرطبي:

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في تفسيره، الجامع لأحكام القرآن في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ روى أبو صادق عن علي قال: قدم علينا أعرابي بعدما دفننا رسول الله ﷺ وحشا على رأسه من ترابه فقال: قلت يا رسول الله فسمعنا قولك، ووعيت عن الله فوعينا عنك، وكان فيما أنزل الله عليك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا﴾ الآية، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي؛ فنودي من القبر: أنه قد غفر لك. (تفسير القرطبي ٥/٢٦٥).

(١) الرضا والقبول في فضائل المدينة وزيارة سيدنا الرسول ﷺ (أحمد بن محمد الحضراوي ص ٦).

رواية الحافظ ابن كثير

قال الإمام الحافظ الشيخ عماد الدين ابن كثير: ذكر جماعة منهم الشيخ أبو منصور الصباغ في كتابه (الشامل) الحكاية المشهورة عن العتبي قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ قَوَّامًا رَحِيمًا﴾ وقد جئتكَ مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي، ثم أنشد يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه قطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم
ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني؛ فرأيت النبي ﷺ في النوم -
فقال: «الحق الأعرابي فبشره أن الله قد غفر له».

فهذه القصة رواها الإمام النووي في كتابه المعروف بالإيضاح في الباب السادس ص ٤٩٨، ورواها أيضاً الحافظ عماد الدين ابن كثير في تفسيره الشهير عند قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ الآية.

ورواها أيضاً الشيخ أبو محمد بن قدامة في كتابه «المغني» (ج ٣ ص ٥٥٦)، ونقلها أيضاً الشيخ أبو الفرج بن قدامة في كتابه «الشرح الكبير» (ج ٣ ص ٤٩٥)، ونقلها أيضاً الشيخ منصور بن يونس البهوتي في كتابه المعروف بكشاف القناع من أشهر كتب «المذهب الحنبلي» (ج ٥ ص ٣٠).

وقد زعم بعض المخالفين: أن التعبير بكلمة (رواه) لا يقال إلا في الحديث الذي يسنده الراوي عن مشايخه إلى منتهاه. ولا ندري من أين جاء بهذه القاعدة التي لا أصل لها، ولا قائل بها، ومن المعروف عند

أهل العلم أن الأصول ليست بالاجتهاد ولا بالاختراع . ثم إن العلماء يروون أخباراً وآثاراً كثيرة، ويذكرونها في مؤلفاتهم بلا سند كمعلقات البخاري، ومنقطعات وبلاغات الموطأ، فمنها ما حذف أول سنده، ومنها ما لا سند له، ويقولون فيها: رواه البخاري، ورواه مالك، ومثل هذا يصنعه النووي في كتابه «الأذكار».

فلفظ (روي) يستعمل في كل ما ينقله العلماء من الأحاديث والأخبار والآثار المرفوعة والموقوفة والمقطوعة، وهو ظاهر من صنيع العلماء، ولكن لا يعرفه إلا أهله.

أبيات العتبي على شباك النبي ﷺ

تقدم ذكر البيتين اللذين أنشدتهما الأعرابي عند زيارته للنبي ﷺ ورواهما العتبي وهما:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم
وهذه الأبيات حازت الشرف العظيم والمجد الفخيم إذ تميزت عن غيرها بأن كتبت على عامودين ظاهرين بين شباك الحجرة النبوية يراها القاصي والداني منذ مئات السنين، واستمر ذلك في عهد المرحوم الملك عبد العزيز، فالملك سعود، فالملك فيصل، فالملك خالد رحمهم الله تعالى، فالملك فهد خادم الحرمين الشريفين حفظه الله، وستبقى بإذن الله بناءً على توجيهات خادم الحرمين الشريفين وحكومته بالمحافظة على كل ما في المسجد النبوي الشريف، والمدينة المنورة، ومكة المكرمة، وعدم إزالة أي أثر تاريخي تراثي قديم.

التحكم في معنى الآية بلا دليل:

وقد يعترض البعض بأن لفظ ﴿جَاءُوكَ﴾ في الآية خاصٌ بحياته لأن العرب لا تقول: جاءوك إلا في حال الحياة، وأيضاً يعترض بأن المجيء إليه ﷺ في حياته من أجل الاستغفار لهم، فكيف يستغفر لهم بعد موته ﷺ؟

والجواب عن هذين الاعتراضين:

١ - أن الأنبياء صلوات الله عليهم قد ثبتت حياتهم في قبورهم

لأن الله حَرَّمَ على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، والنبى ﷺ يقول: «رأيت موسى قائماً يصلي في قبره».

فعلى هذا فالآية تشمل المجيء إليه ﷺ حياً وميتاً، ومن ادعى خصوصيتها بحياته فعليه البيان.

٢ - أن النبى ﷺ تعرض عليه أعمال الأمة فيستغفر لها وهو في برزخه ﷺ، وقد وردت بذلك أحاديث:

منها: ما رواه البزار مرفوعاً، والحافظ إسماعيل القاضي في (فضل الصلاة على النبى ﷺ) وابن سعد في (طبقاته)، عن بكر بن عبد الله المزني مرسلاً: «حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم، فإذا أنا مت كانت وفاتي خيراً لكم تعرض عليّ أعمالكم، فإن رأيت خيراً حمدت الله وإن رأيت شراً استغفرت لكم».

فهذا الحديث يؤيد الاستدلال بهذه الآية في الحث على زيارته ﷺ بعد وفاته.

وقد ذكرنا في (المفاهيم) تخريج هذا الحديث ص ٢٥٧، وخلاصة القول فيه أنه صحيح، وقد صنف العلامة المحدث الشيخ أبو الفضل عبد الله الغماري رسالة خاصة في هذا الموضوع سماها: (نهاية الآمال في صحة وشرح حديث عرض الأعمال).

على أن الاختلاف في الحديث لا يؤثر في أصل المسألة، وهي عرض الأعمال على النبى ﷺ وحياته في البرزخ، بل حياة الأنبياء جميعاً، وقد صنف في ذلك الحافظ البيهقي والسيوطي رسالة خاصة.

اعتراض آخر (لغوي):

وقد اعترض بعضهم على الاستدلال بالآية المذكورة فقال في

وبأن عقد نكاحه لم ينفسخ فنساؤه في عصمة وصيان
ولأجل هذا لم يحل لغيره منهن واحدة مدى الأزمان
أفليس في هذا دليل أنه حي لمن كانت له أذنان
الثاني: ثبت أن النبي ﷺ قد صلى إماماً بالأنبياء عليهم السلام في
الإسراء وهذا متواتر، وكانوا قد ماتوا جميعاً، وراجعه موسى عليه السلام
في الصلوات ورأى غيره في السموات.

فمن كان هذا حاله فكيف يتعذر عليه الاستغفار؟
والصلاة دعاء واستغفار وتضرع.

الثالث: قد صحح أن النبي ﷺ قال: «حياتي خير لكم تحدثون
ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم فما رأيت من خير
حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت لكم».

وهو حديث صحيح، وقال عنه الحافظ العراقي في طرح التثريب
(٢٩٧/٣): إسناده جيد. وقال الهيثمي (المجمع ٢٤/٩): رواه البزار
ورجاله رجال الصحيح، وصححه السيوطي في الخصائص (٢٨١/٢).
وكلام العراقي والهيثمي بالنسبة لإسناد البزار فقط، وإلا فالحديث
صحيح كما قال الحافظ السيوطي وغيره، وسيأتي الكلام على الحديث
بتوسع إن شاء الله.

الرابع: استغفار الرسول ﷺ حاصل لجميع المؤمنين سواء من
أدرك حياته أو من لم يدركها، قال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذَلِكِ وَالْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(١) وهذه منة من الله تعالى، وخصوصية من خصوصيات سيدنا
رسول الله ﷺ.

(١) سورة محمد: آية ١٩.

وقد علم مما سبق أن الأمور الثلاثة المذكورة في الآية وهي:

١ - المجيء إليه ﷺ.

٢ - والاستغفار.

٣ - واستغفار الرسول ﷺ للمؤمنين.

هذه الثلاثة حاصلة في حياته وبعد انتقاله.

ولا يقال: إن الآية وردت في أقوام معينين، لا يقال ذلك لأنه كما هو معروف «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».

ولذلك فهم المفسرون وغيرهم من الآية العموم، واستحبوا لمن جاء إلى القبر الشريف أن يقرأ هذه الآية «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا» ويستغفر الله تعالى.

وهذه التفاسير بين أيدينا، والمناسك التي صنفها علماء المذاهب كذلك، وكلها تظهر صدق دعوى الاستدلال بالآية.

بقي الكلام على قول هذا المعترض: (لأنه إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث... إلخ).

قلت: سيدنا رسول الله ﷺ له من الكمالات والخصوصيات ما لم يصح لأحد، وهذا قرره ابن تيمية في كتابه (الصارم المسلول على شاتم الرسول) وهو أحسن كتبه، وهو ﷺ في ترق وارتفاع إلى يوم الدين، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة ومقرر في كتب الخصائص، ودلائل النبوة، والشفا وشروحه.

فقد قال ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً» أخرجه مسلم وغيره.

فجميع الأعمال الصالحة التي تصدر عن الأمة المحمدية راجعة

لدعوة رسول الله ﷺ لها فتوابها راجع إليه وهو ينتفع به قطعاً من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئاً.

وفي هذا الصواب، قال ابن تيمية في الفتاوى (١/١٩١): ثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء».

ومحمد ﷺ هو الداعي إلى ما تفعله أمته من الخيرات، فما يفعلونه له فيه من الأجر مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء. انتهى كلام ابن تيمية.

والحاصل أن هذا المعترض زلّ فيما قال.

نعوذ بالله من الكلام في كتاب الله بغير علم، والتعدي على مقام سيدنا رسول الله ﷺ.

درجات هذا الحديث أن يكون حسناً إن نوزع في دعوى صحته . (كذا في شفاء السقام).

وقال الشيخ محمود سعيد ممدوح في تخريج هذا الحديث بعد تحقيق علمي مفيد: إنه حديث حسن ولا بُدَّ، وهذا ما تقتضيه قواعد الحديث^(١) . . إلخ.

. وقد فصلنا في كتابنا شفاء الفؤاد ما يتعلق بتخريج هذا الحديث .

(١) رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة للعلامة الشيخ محمود سعيد ممدوح

من جاءني زائراً..

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من جاءني زائراً لا يهمة إلا زيارتي كان حقاً عليّ أن أكون له شفيعاً».

رواه الحافظ ابن عساكر في «تاريخه» (٤٠٦/٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٩١/١٢) رقم (١٣١٤٩)، والدارقطني في «سننه» على ما حكاه الحافظ الذهبي فرواه من طريقه في «الميزان» (١٠٤/٤).

قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/٤) فيه مسلم بن سالم الجهني وهو ضعيف.

هذا الحديث أقل أحواله أنه حسن، بل قد صححه الحافظ البوصيري فيما حكاه الإمام المحدث حبيب الرحمن في حاشيته على «المطالب» (٣٧١/١) عند الكلام على حديث: «من زار قبري كنت له شهيداً» الحديث، قال: قال الحافظ البوصيري: رواه الطيالسي بسند ضعيف لجهالة التابعي، لكن له شاهد عند أبي يعلى، والطبراني بسند صحيح اهـ. والمقصود به هذا الحديث. والله أعلم.

مشروعية شد الرحل للزيارة

لا ينكر أحد من أهل السنة والجماعة مشروعية زيارة رسول الله ﷺ، بقيت مسألة شد الرحل لأجل الزيارة خاصة، وهذه المسألة سنذكر فيها كلام جملة كبيرة من الأئمة الأعلام ومشايخ الإسلام رضي الله تعالى عنهم، وفي الحقيقة هذه المسألة لا تستحق من المخالف كل هذه الهجمة النكراء والحملة الشديدة الشعواء، وكأن القضية فيها إنكار الألوهية أو الربوبية أو الأسماء والصفات، أو إنكار النبوة وجحد الكرامات، سبحانه هذا بهتان عظيم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولا أدري ما هو الذي يترتب على القول بشد الرحل لزيارة قبر نبينا وسيدنا محمد ﷺ من المفاسد والشرور وعظائم الأمور؟ وما هي صلة هذه المسألة بالشرك والكفر والإخراج عن دائرة الإيمان؟ فقد كنا نسمع من المخالف قبل سنوات عديدة القول: بأن شد الرحل لزيارة الرسول ﷺ شرك، ثم هان الأمر وخف الخطب وصار شد الرحل بدعة، ثم خف أكثر وصارت العبارة أهون وألين وأرق وأشفق فصاروا يقولون إن شد الرحل ليس بمشروع، فالحمد لله الذي فتح البصائر قليلاً قليلاً لإدراك الحقائق وملاحظة المذاهب.

شد الرحل إليه ﷺ

الزيارة تستدعي سفرًا، وتستلزم رحيلًا، إذ أنها عبارة عن انتقال من الزائر للمزور، وذلك الانتقال يقتضي سفرًا ويتطلب مجيئًا، ولا يتصور انتقال بدون سفر، ولا يتحقق مجيء بغيره، كما لا يمكن أن تكون هجرة بدون انتقال، ولا تتأتى رحلة بدون ارتحال. وهي خير ما يتقرب

شد الرحل إلى مسجده ﷺ:

وكذلك يشرع شد الرحل إلى مسجده ﷺ الذي ما شرف وعظم إلا بإضافته إليه ولكون قبر سيد المرسلين فيه... ولهذا يقول ﷺ كما جاء في الحديث الصحيح: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى» وتدبر قوله: «مسجدي» ولم يقل: مسجد المدينة ليظهر لك جلياً أن المسجد إنما شرف بنسبته إلى رسول الله ﷺ، والحديث صريح في فضل السفر إلى مسجد الرسول ﷺ والصلاة فيه، والتبرك بروضته المطهرة بالصلاة فيها والدعاء، وقراءة القرآن، والذكر لله سبحانه وتعالى، وليس في الحديث صلة بالنهي عن شد الرحال لزيارة القبر كما قد يتبادر إلى بعض العقول القاصرة عن الخوض في المعاني.

سفر بلال للزيارة النبوية وأذانه بالمدينة المنورة

روى ابن عساكر بسند جيد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قصة نزول بلال بن رباح بداريا بعد فتح عمر رضي الله عنه بيت المقدس قال: ثم إن بلالاً رأى النبي ﷺ وهو يقول له: «ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما آن لك أن تزورني؟» فانتبه حزيناً خائفاً، فركب راحلته وقصد المدينة فأتى قبر رسول الله ﷺ فجعل يبكي عنده ومرغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمهما ويقبلهما، فقالا: نشتهي نسمع أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول الله ﷺ في المسجد، فعلا سطح المسجد، ووقف موقفه الذي كان يقف فيه؛ فلما أن قال: «الله أكبر» ارتجت المدينة فلما قال: «أشهد أن لا إله إلا الله» ازدادت رجتها، فلما قال: «أشهد أن محمداً رسول الله»، خرجت العواتق من خدورهن وقالوا: بعث رسول الله فما روي يوم أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله ﷺ من ذلك اليوم.

قال الحافظ تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي في كتابه «شفاء السقام في زيارة خير الأنام» ص ٥٢:

الباب الثالث: فيما ورد في السفر إلى زيارته ﷺ، وممن روي ذلك عنه من الصحابة بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ سافر من الشام إلى المدينة لزيارة قبره ﷺ. روي ذلك بإسناد جيد إليه، وهو نص في الباب، وممن ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر رحمه الله بالإسناد الذي سنذكره، وذكره الحافظ أبو محمد عبد الغني المقدسي رحمه الله في «الكمال» في ترجمة بلال فقال: ولم يؤذن لأحد بعد النبي ﷺ فيما روى إلا مرة واحدة في قدمة قدمها المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ، طلب

إليه الصحابة ذلك، فأذن ولم يتم الأذان، وقيل: إنه أذن لأبي بكر الصديق رضي الله عنه في خلافته، وممن ذكر ذلك أيضاً الحافظ أبو الحجاج المزي، ثم قال السبكي: وليس اعتمادنا في الاستدلال بهذا الخبر على رؤيا المنام فقط بل على فعل بلال وهو صحابي لا سيما في خلافة عمر رضي الله عنه والصحابة متوافرون، ولا يخفى عنهم هذه القصة، ومنام بلال ورؤياه للنبي ﷺ الذي لا يتمثل به الشيطان ليس فيه ما يخالف ما ثبت في اليقظة فيؤكد به فعل الصحابي.

التحذير من ترك زيارته ﷺ مع استطاعة ذلك

قال العلامة ابن حجر في ذلك: واعلم أنه ﷺ حذر من ترك زيارته أتم التحذير، وأرشدك إليها بأبلغ بيان وأوضح تقرير، وبين لك من آفات ما إن تأملته خشيت على نفسك القطيعة والعواقب حيث ورد: «من حج ولم يزرني فقد جفاني» فبين لك أن في ترك زيارته ﷺ جفاء، وفي البدر المنير: «من لم يزرني فقد جفاني» رواه بمعناه ابن السني، ومر أن معناه: ترك البر والصلة أو غلظ الطبع والبعد عن السخاء، ولا ابن عدي في الكامل، والدارقطني في غرائب مالك عن ابن عمر مرفوعاً: «من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني» قال ابن عدي: لا أعلم من رواه عن مالك غير النعمان بن شبل ولم أر في أحاديثه حديثاً غريباً قد جاوز الحد فأذكره.

وليحيى بن الحسين من طريق النعمان بن شبل قال: حدثنا محمد بن الفضل المدني عن جابر عن محمد بن علي عن علي كرم الله وجهه ورضي عنه مرفوعاً: «من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن لم يزرني فقد جفاني» قوله: المدني يقتضي أنه غير محمد بن الفضل بن عطية الذي كذبه، لأن ذلك كوفي نزل بخاري، وجابر يحتمل أنه الجعفي وغيره، ومحمد بن علي إن كان ابن الحنفية فقد أدرك أباه علياً وإن كان الباقر فهو منقطع، ورواه ابن عساكر من غير هذا الطريق من غير تصريح بالرفع عن علي، ومر أن ذكر حج ليس قيداً فلا مفهوم له ويؤيد ذلك أنه ﷺ جعل في عدم الصلاة عليه ﷺ عند سماع ذكره الجفاء أيضاً، فقد صح عن قتادة مرسلاً أنه ﷺ قال: «من الجفاء أن أذكر عند رجل فلا يصلي عليّ» وبه يعلم أن بين ترك الزيارة مع القدرة

عار ويسلخون عنه اسم الحاج الذي هو أشرف الأوصاف عندهم، ويصير ذلك مثلة فيهم إلى أن يموت، بل وفي أولاده بعد موته، ولقد اشتد من تعبيرهم وتنقيصهم لمن رجع من غير زيارة ما ألجأه إلى الانقطاع في بيته وعدم الاجتماع بأحد إلى أن خرج مع الحجاج في العام الثاني فحج وزار ورجع إلى بلده فرحاً مسروراً بزوال تلك الوصمة الشنيعة عنه، فتأمل ذلك من العوام تجد أن عظمتهم ﷺ وعظمة زيارته وقرت في قلوبهم، واستحكمت في طباعهم، وكذا تجدهم غير مستقيمين في معاملتهم ثم يكثرون الزيارة ويؤثرون لأجلها الخروج عن أراضيهم، ودورهم، ومعايش أموالهم، وأمتعتهم، حتى إنهم يتدأبنون الديون البليغة مع حسن ظنهم ويوفي الله سبحانه وتعالى عنهم. وإذا رأيت القوافل حين تخرج من مكة بالزوار أو الركوب في أوائل كل رجب تجد الأنوار النبوية على وجوههم ولهم بهاء ولهم حنين إلى زيارته ﷺ حتى إن الإنسان يسخر بنفسه وبأهله في مفارقتهم وزيارة نبيه ﷺ فالرجاء من الله الكريم غافر الذنب وقابل التوب أن يمحض بوائقنا، ويوائقهم ويمحو فرطاتنا وفرطاتهم، ويغفر زلاتنا وزلاتهم، ومن نبيه الرؤوف الرحيم الذي عمت رأفته للحاضر والباد أن يشفع لنا ولهم إلى ربنا في تطهير الجميع من المخالفات، ويوفقنا إلى إصلاح الأعمال مع إرسال العبرات أسفاً على ما فات إلى الممات، يسر الله تعالى لنا ذلك، ووفقنا لأفضل المساعي وأشرف المسالك إنه أكرم كريم وأرحم رحيم، وصلى الله على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون آمين.

نسأل الله الكريم أن يمن علينا بذرة من إقباله، وبسطة من إفضاله،
ويبلغنا الآمال بجاء النبي ﷺ والصحاب والأل.

كما كره أن يقال: أيام التشريق، واستحب أن يقال: الأيام المعدودات كما قال الله تعالى، وكما كره أن يقال: العتمة، ويقال: العشاء الأخيرة ونحو هذا، وكذلك طواف الزيارة، استحب أن يسمى بالإفاضة، كما قال تعالى في كتابه: ﴿فَإِذَا أَقْبَضْتُم مِّنْ عَرَفَتٍ﴾ فاستحب أن يشتق له الاسم من هذا^(١).

وقيل: إنه كره لفظ الزيارة في الطواف بالبيت، والمضي إلى قبر النبي ﷺ، لأن المضي إلى قبره عليه الصلاة والسلام ليس ليصله بذلك ولا ينفعه به، وكذلك الطواف بالبيت وإنما يفعل باديه لما يلزمه من فعله، ورغبته في الثواب على ذلك من عند الله عز وجل، وبالله التوفيق. انتهى كلام ابن رشد.

وجاء في كتاب «تهذيب المطالب» لعبد الحق الصقلي عن أبي عمران المالكي أنه قال: إنما كره مالك أن يقال: زرنا قبر النبي ﷺ لأن الزيارة من شاء فعلها، ومن شاء تركها، وزيارة قبره النبي ﷺ واجبة. قال عبد الحق: يعني من السنن الواجبة، ينبغي أن لا تذكر الزيارة فيه كما تذكر في زيارة الأحياء الذين من شاء زارهم ومن شاء ترك، والنبي ﷺ أشرف وأعلى من أن يسمى أنه يزار. اهـ.

كلام فقهاء المالكية

القاضي عياض:

وقال الإمام الحافظ القاضي أبو الفضل عياض بن موسى - وهو من أئمة المالكية - في كتابه «الشفاء»: وزيارة قبره ﷺ سنة من سنن

(١) البيان والتحصيل لابن رشد ج ١٨ ص ١١٩.

يقصدوها من أجل القبر والتسليم. انتهى ما حكاه القاضي عياض.
وانظر قول الباجي: إن الغرباء قصدوا لذلك، ودلالته على أن
الغرباء قصدوا المدينة من أجل القبر والتسليم.

وقال أبو محمد عبد الكريم بن عطاء الله بن عبد الرحمن بن
عبد الله بن محمد بن عيسى بن الحسن المالكي في مناسكه التي التزم
فيها مشهور مذهب مالك:

فصل: إذا كمل لك حجك وعمرتك على الوجه المشروع لم يبق
بعد ذلك إلا إتيان مسجد رسول الله ﷺ للسلام على النبي ﷺ والدعاء
عنده، والسلام على صاحبيه، والوصول إلى البقيع، وزيارة ما فيه من
قبور الصحابة والتابعين، والصلاة في مسجد الرسول ﷺ، فلا ينبغي
للقادر على ذلك تركه.

وانظر إلى قوله: (إتيان مسجد رسول الله ﷺ للسلام على النبي ﷺ
والدعاء عنده) فهو صريح في الموضوع.

الإمام أبو حنيفة وأئمة الحنفية

قال في شرح اللباب: وقد روى الحسن عن أبي حنيفة أنه إذا كان الحج فرضاً، فالأحسن للحاج أن يبدأ بالحج ثم يثني بالزيارة وإن بدأ بالزيارة جاز. اهـ^(١).

وقال الإمام المحقق الكمال بن الهمام الحنفي في شرح «فتح القدير»^(٢): المقصد الثالث في زيارة قبر النبي ﷺ قال مشايخنا رحمهم الله تعالى: من أفضل المندوبات، وفي «مناسك الفارسي» و«شرح المختار»: أنها قرية من الوجوب لمن له سعة. ثم قال بعد كلام ما نصه:

والأولى فيما يقع عند العبد الضعيف تجريد النية لزيارة قبر النبي ﷺ، ثم إذا حصل له إذا قدم زيارة المسجد، أو يستفتح فضل الله سبحانه في مرة أخرى ينويهما فيها، لأن في ذلك زيادة تعظيمه ﷺ وإجلاله. اهـ.

وعلق عليه العلامة الكشميري فقال:

«وهو الحق عندي، فإن آلاف الألوف من السلف كانوا يشدون رحالهم لزيارة النبي ﷺ ويزعمونها من أعظم القربات، وتجرّد نياتهم أنها كانت للمسجد دون الروضة المباركة باطل، بل كانوا ينوون زيارة قبر النبي ﷺ قطعاً» اهـ^(٣).

(١) رد المحتار إلى الدر المختار ٢/٢٥٧.

(٢) شرح فتح القدير للكمال بن الهمام ٢/٣٣٦.

(٣) فيض الباري على صحيح البخاري للكشميري ٢١/٤٣٣.

وفي «رد المحتار على الدر المختار» «قوله: مندوبة» أي بإجماع المسلمين كما في «اللباب»، قوله: «بل قيل واجبة» ذكره في «شرح اللباب»، وقال: كما بيته في «الدرة النبوية في الزيارة المصطفوية» وذكره الخير الرملي في حاشية «المنح» عن ابن حجر، قال: وانتصر له^(١).

وجاء في «فتح القدير» أيضاً: ولما زار الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه المدينة وقف أمام قبره الشريف ﷺ وقال:

يا أكرم الثقلين يا كنز السورى جد لي بجودك وارضني برضاكا
أنا طامع في الجود منك ولم يكن لأبي حنيفة في الأنام سواكا
وقد اقتدى في ذلك بالصحابي الجليل سواد بن قارب حيث قال:
فكن لي شفيعاً يوم لا ذو قرابة بمغن فتيلاً عن سواد بن قارب

(١) رد المحتار إلى الدر المختار ٢/٢٥٧.

وقال بعض أئمة المالكية: إنها واجبة، يعني من السنن الواجبة، ويدل لذلك أحاديث صحيحة صريحة لا يشك فيها إلا من انطمس نور بصيرته، ومنها قوله ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي» وفي رواية: «حلت له شفاعتي» صححه جماعة من أئمة الحديث.

ثم قال الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى: ثم هذه الأحاديث كلها إما صريحة وهي الأكثر، أو ظاهرة في النذب، بل تؤكد زيارته ﷺ حياً وميتاً للذكر والأنثى الآتين من قرب أو بُغْد، فيستدل بها على فضيلة شد الرحال لذلك، وندب السفر للزيارة حتى للنساء . اهـ.

نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت الشفيع الذي ترجى شفاعته على الصراط إذا ما زلت القدم
وصاحبك فلا أنساهما أبداً مني السلام عليكم ما جرى القلم
قال: ثم انصرف فغلبتني عيائي، فرأيت رسول الله ﷺ في النوم
فقال: «يا عتبي! الحق الأعرابي ويشره بأن الله تعالى قد غفر له».
ثم قال: ويستحب أن يزور قبور الشهداء بأحد، إلى أن قال: وإذا
أراد السفر من المدينة استحب أن يودع المسجد بركعتين، ويدعو بما
أحب، ويأتي القبر، ويعيد نحو السلام والدعاء إلخ.

مسجده ﷺ وهي بألف صلاة، وفي المسجد الحرام بمائة ألف، وفي المسجد الأقصى بخمسمائة. (دليل الطالب ص ٨٨).

ابن مفلح:

وقال العلامة الفقيه شمس الدين المقدسي محمد بن مفلح في الفروع: وتستحب الصلاة على النبي ﷺ، وزيارة قبره، وقبر صاحبيه، فيسلم عليه مستقبلاً له لا للقبلة. (الفروع ج ٣ ص ٥٢٣).

وأيضاً إذا أمكن ترجيح أحد الوجوه، فلا يضر الاختلاف أيضاً، وقد تقدم ترجيح الوجه الذي أخرجه الحاكم، بيد أن هذا الاختلاف على ابن إسحاق فقط، وقد تقدم أن له متابعين.

فالحديث صحيح، وكلام المعترض لا يقدر في الحديث لأنه لم يجمع طرق الحديث، وانصب كلامه على طريق واحد فقط، مع وجود طرق أخرى للحديث خالية تماماً من أي علة، كما تقدم.

إعتناء السلف بالسلام على النبي ﷺ عند قبره الشريف أصالة ونيابة

قد استفاض عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يبرد البريد من الشام
يقول: سلم لي على رسول الله ﷺ.

وصح أن ابن عمر كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال:
السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر الصديق، السلام
عليك يا أبتاه.

وفي الموطأ أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يقف على قبر
النبي ﷺ، فيصلي على النبي ﷺ وعلى أبي بكر وعمر - رضي الله
عنهما -.

وعن ابن القاسم والقعنبي: ويدعو لأبي بكر وعمر رضي الله
عنهما.

وعن ابن عون: سأل رجل نافعاً هل كان ابن عمر يسلم على
القبر؟ قال: نعم لقد رأيته مائة مرة أو أكثر من مائة مرة، كان يأتي على
القبر فيقوم عنده فيقول: السلام على النبي، السلام على أبي بكر،
السلام على أبي.

وفي فتوح الشام أن عمر رضي الله عنه قال لكعب الأحبار بعد
فتح بيت المقدس: هل لك أن تسير معي إلى المدينة وتزور قبر
النبي ﷺ؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين، ولما قدم عمر المدينة أول ما
بدأ بالمسجد وسلم على رسول الله ﷺ.

«الصلوات والبشر» ص ١٥٣).

وقال الإمام أبو بكر بن عمر بن أبي عاصم النبيل - من المتقدمين - في مناسك له التزم فيها الثبوت: وكان عمر بن عبد العزيز يبعث بالرسول قاصداً من الشام إلى المدينة ليقريء النبي ﷺ السلام ثم يرجع.

قلت: وهذا مما استفاد عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

صوت وسلام وأذان يسمع من القبر النبوي

روى الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله الدارمي في كتابه «السنن» الذي يعتبر من كتب الأصول الحديثية الستة، قال: أخبرنا مروان بن محمد عن سعيد بن عبد العزيز قال: لما كان أيام الحرة لم يؤذن في مسجد النبي ﷺ ثلاثاً ولم يقم، ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد، وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبر النبي ﷺ فذكر معناه، اهـ من سنن الدارمي (ج ١ ص ٤٤) ونقله الشيخ محمد بن عبد الوهاب في أحكام تمنى الموت من مجموعة مؤلفاته (ج ٣ ص ٤٧).

ونقل هذه الرواية الإمام مجد الدين الفيروزآبادي صاحب القاموس في «الصلوات والبشر» ص ١٥٤، وقال إبراهيم بن شيان: حججت فجئت المدينة فتقدمت إلى قبر النبي ﷺ فسلمت عليه فسمعت من داخل الحجرة: وعليك السلام.

قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأبو سعيد بن أبي عمرو قالوا: حدثنا أبو عبد الله الصفار، حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا، حدثني سويد بن سعيد، حدثني ابن أبي الرجال عن سليمان بن سحيم قال: رأيت النبي ﷺ في النوم، قلت: يا رسول الله! هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقهم سلامهم؟ قال: نعم وأرد عليهم. قال المعلق الندوي: إسناده حسن (الجامع لشعب الإيمان ٨/ ١٠٠).

تأييد ابن تيمية لهذه الوقائع

ذكر الشيخ ابن تيمية هذه الوقائع في معرض كلامه عن اتخاذ القبر مسجداً أو وثناً يعبد، ثم قال: ولا يدخل في هذا الباب ما يروى من أن قوماً سمعوا رد السلام من قبر النبي ﷺ أو قبور غيره من الصالحين، وأن سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان من القبر ليالي الحرة، ونحو ذلك، اهـ. (اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٧٣).

ثم قال في موضع آخر: وكذلك ما يذكر من الكرامات وخوارق العادات التي توجد عند قبور الأنبياء والصالحين مثل نزول الأنوار والملائكة عندها، وتوقي الشياطين والبهايم لها، واندفاع النار عنها، وعمن جاورها، وشفاعة بعضهم في جيرانه من الموتى، واستحباب الإندقان عند بعضهم، وحصول الأنس والسكينة عندها، ونزول العذاب بمن استهان بها، فجنس هذا حق ليس مما نحن فيه، وما في قبور الأنبياء والصالحين من كرامة الله ورحمته، وما لها عند الله من الحرمة والكرامة فوق ما يتوهمه أكثر الخلق، لكن ليس هذا موضع تفصيل ذلك انتهى من: (اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٧٤).

رأي الإمام الحافظ الحلبي

قال الإمام الحافظ أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحلبي في الباب الخامس عشر من «شعب الإيمان»، وهو باب في تعظيم النبي ﷺ وإجلاله وتوقيره، وبعد أن ذكر ما جاء في التنزيل من وجوب إجلاله، وما روي عن الصحابة من تعظيمهم وتوقيرهم له.

قال: فهذا كان من الذين ورثوا مشاهدته وصحبته، فأما اليوم فمن تعظيمه زيارته ﷺ، فقد جاء عنه ﷺ أنه قال: «من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي»^(١).

(١) شعب الإيمان للحافظ الحلبي ١/٣٢٠.

رأي الحافظ بن عساكر

قال الإمام الحافظ أبو اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب المعروف
بأبي اليمن ابن عساكر.

ويعد... فهذا مختصرٌ في زيارة سيدنا سيد البشر رسول الله ﷺ
وشرف وعظم وكرم، ألفته تحفة للزائر، وجعلته نحلة من المقيم يتزودها
المسافر، إذ كانت زيارة تربته المقدسة المكرمة من أهم القربات،
والمشول في حضرته المعظمة من أنجح المساعي وأكمل الطلبات،
والقصد إلى مسجده الشريف من العباد من أوصل الصلات، فإليه تشد
الرحال، ولديه تحط الأوزار وتعقد الآمال^(١).

(١) إتحاف الزائر للحافظ أبي اليمن ابن عساكر (مخطوط) ص ٣.

التصريح بكل ما يقصده وينويه للارتباط الوثيق بين المسجد والقبر الذي هو في الحقيقة عبارة عن قصد النبي ﷺ ذاته ﷺ، لأن المسافر لزيارة القبر هو مسافر في الحقيقة إلى النبي ﷺ.

أما القبر حقيقة فلا يقصده ولا يتوجه إليه مسافر، ونحن إنما نتوجه إليه ﷺ، ونشد رحلتنا لزيارته هو، ونتقرب إلى الله بتلك الزيارة، ولذلك فالواجب على المسلمين الزائرين أن يصححوا ألفاظهم ابتعاداً عن الشبهة، ويقولوا: نحن نزور رسول الله ﷺ، ونشد الرحل إلى رسول الله ﷺ، ومن هنا قال مالك: أكره للرجل أن يقول: زرت قبر الرسول ﷺ.

وفسره العلماء من أئمة المالكية بأن ذلك من الأدب في التعبير اللفظي، ولو كان المسافر لزيارة القبر لا يقصد إلا زيارة القبر فقط لما رأيت هذا الازدحام الشديد على الروضة المشرفة، ولما رأيت الناس يتسابقون ويتدافعون عند فتح أبواب المسجد النبوي حتى ليكاد يقتل بعضهم بعضاً، وهؤلاء الذين يحرصون على الصلاة في المسجد والمسابقة إلى الروضة هم الذين جاؤوا لزيارة محمد بن عبد الله ﷺ وشدوا رحالهم إليها.

قبور الصالحين عن أصحاب أحمد أربعة أقوال: الثالث منها: تقتصر إلى قبر نبيتنا عليه الصلاة والسلام. (أضواء البيان ٨/٥٩٠).

ثم قال الشيخ عطية: وهذا غاية في التصريح منه رحمه الله أنه لا انفكاك من حيث الواقع بين الزيارة والصلاة في المسجد عند عامة العلماء.

ثم قال في حق الجاهل: وأما من لم يعرف هذا فقد لا يقصد إلا السفر إلى القبر، ثم إنه لا بد أن يصلي في مسجده فيثاب على ذلك، وما فعله وهو منهي عنه، ولم يعلم أنه منهي عنه لا يعاقب فيحصل أجر ولا يكون عليه وزر. (انظر أضواء البيان ج ٨ ص ٥٩٠).

وبه يظهر لك أن قاصد القبر على كل حال ليس بمحروم من الأجر والثواب، فهل يقال في حقه: إنه مبتدع أو ضال أو مشرك؟ سبحانه هذا بهتان عظيم.

وأما إجماع المسلمين؛ فقد نقل جماعة من الأئمة حملة الشرع الشريف الذين عليهم المدار والمعول في نقل الخلاف الإجماع عليها، وإنما الخلاف بينهم في أنها واجبة أو مندوبة، وأكثر العلماء من السلف والخلف على ندها دون وجوبها، وعلى كل من القولين فهي مع مقدماتها من نحو السفر إليها ولو بقصدها فقط دون أن يضم لها قصد اعتكاف أو صلاة بمسجده ﷺ من أهم القربات وأنجح المساعي، ومن ثم قال الحنفية: إنها تقرب من درجة الواجبات، وقال بعض أئمة المالكية: إنها واجبة، قال غيره منهم: يعني من السنن الواجبة، ويدل لذلك أحاديث صحيحة صريحة ولا يشك فيها إلا من انطمس نور بصيرته، منها قوله ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي». وفي رواية: «حلت له شفاعتي» صححه جماعة من أئمة الحديث.

ثم قال الإمام ابن حجر رحمه الله تعالى: ثم هذه الأحاديث كلها إما صريحة وهي الأكثر، أو ظاهرة في ندب، بل تؤكد زيارته ﷺ حياً وميتاً للذكر والأنثى الآتين من قرب أو بعد، فيستدل بها على فضيلة شد الرحال لذلك، وندب السفر للزيارة حتى للنساء.

مسجده، فليبدأ بتحية المسجد ثم بتحية صاحب المسجد رزقنا الله وإياكم
ذلك آمين. (سير أعلام النبلاء ٤/٤٨٣ - ٤٨٥).

تعالى: ﴿فَلَا يَقْرَئُوا الْمُسَجِدَ الْحَرَامَ بِمَدَّ عَيْنِهِمْ هَكَذَا﴾، وإما نفس المسجد، وهو المراد في الحديث.

الخطابي: «لا تشد» لفظه خبر ومعناه الإيجاب فيما نذر الإنسان من الصلاة في البقاع التي يشترك بها أي لا يلزم الوفاء بشيء من ذلك حتى يشد الرحل له، ويقطع المسافة إليه، غير هذه الثلاثة التي هي مساجد الأنبياء صلوات الله عليهم، فأما إذا نذر الصلاة في غيرها من البقاع فإن له الخيار في أن يأتيها أو يصليها في موضعها لا يرحل إليها، قال: والشد إلى المسجد الحرام فرض للحج والعمرة، وكان يشد إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حياته للهجرة، وكانت واجبة على الكفاية، وأما إلى بيت المقدس فإنما هو فضيلة واستحباب، وقد يؤول معنى الحديث على وجه آخر، وهو أنه لا يرحل في الاعتكاف إلا إلى هذه الثلاثة، وقد ذهب بعض السلف إلى أن الاعتكاف لا يصح إلا فيها دون سائر المساجد.

النووي: في الحديث فضيلة هذه المساجد، وقال الشيخ أبو محمد الجويني: يحرم شد الرحال إلى غيرها كالذهاب إلى قبور الصالحين ونحوه، والصحيح أنه لا يحرم ولا يكره، قالوا: والمراد أن الفضيلة التامة إنما هي في شد الرحال إلى الثلاثة خاصة. اهـ (صحيح البخاري بشرح الكرمانلي ج ٧ ص ١٢).

إلى مسجد للصلاة فيه إلا إلى الثلاثة، فيبطل بذلك قول من منع شد الرحال إلى زيارة القبر الشريف وغيره من قبور الصالحين والله أعلم.

وقال السبكي الكبير: ليس في الأرض بقعة لها فضل لذاتها حتى تشد الرحال إليها غير البلاد الثلاثة، ومرادي بالفضل ما شهد الشرع باعتباره، ورتب عليه حكماً شرعياً، وأما غيرها من البلاد فلا تشد إليها لذاتها بل لزيارة أو جهاد أو علم أو نحو ذلك من المندوبات أو المباحات، قال: وقد التبس ذلك على بعضهم، فزعم أن شد الرحال إلى الزيارة لمن في غير الثلاثة داخل في المنع - وهو خطأ - لأن الاستثناء إنما يكون من جنس المستثنى منه، فمعنى الحديث: لا تشد الرحال إلى مسجد من المساجد أو إلى مكان من الأمكنة لأجل ذلك المكان إلا إلى الثلاثة المذكورة، وشد الرحال إلى زيارة أو طلب علم ليس إلى المكان، بل إلى من في ذلك المكان، والله أعلم. اهـ. (فتح الباري كتاب فضل الصلاة في مكة والمدينة ص ٦٦ ج ٣).

في طلب العلم، وفي التجارة، والتتزه، وزيارة الصالحين، والمشاهد، وزيارة الإخوان ونحو ذلك، فليس داخلاً في النهي، وقد ورد ذلك مصرحاً به في بعض طرق الحديث في مسند أحمد: حدثنا هاشم حدثنا عبد الحميد، حدثني شهر سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه، وذكر عنده صلاة في الطور فقال قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي للمطلي أن يشد رحاله إلى مسجد يبتغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا» وإسناده حسن، وشهر بن حوشب وثقه جماعة من الأئمة. اهـ (عمدة القاري ص ٢٥٤ ج ٧).

وعلو منزلته، ثم يقول الزائر بحضور قلب، وغض طرف، وصوت،
وسكون جوارح: السلام عليك يا رسول الله.

وعن الحسن البصري قال: وقف حاتم الأصم على قبره ﷺ
فقال: يا رب! إنا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين، فنودي: يا هذا! ما
أذن لك في زيارة حبيبنا إلا وقد قبلناك، فارجع أنت ومن معك من
الزوار مغفوراً لهم.

وبعد السلام على صاحبيه يرجع قبالة وجهه الشريف، ويجدد
التوبة، ويسأل الله تعالى بجاهه ﷺ أن يجعلها توبة نصوحاً.

أفبعد هذه الأحاديث الناطقة، والآيات الساطعة، وآراء أئمة
المذاهب الأربعة التي تحدثت أدلتها وتكلمت آياتها أروع بيان وأجلى
حجة عن سنية الزيارة وتقرير استحبابها، وبالغ الترغيب في شد الرحال
والسفر إليها بما لا يدع مجالاً للتأويل، ولا يترك باباً للتحريف والتبديل،
يتوكأ ويقف الابتداع عليه. ﴿يَقُومُوا لِرَبِّهِمْ ذِكْرًا وَهُمْ يَحْمَدُونَ﴾ يصلح
لكم قلوبكم ويشف صدوركم.

الحنبلّي، والشيخ محمود رشيد العطار الدمشقي تلميذ الشيخ بدر الدين
محدث الشام، والشيخ محمد البوشي الحموي، والشيخ محمد سعيد
الحموي، والشيخ علي بن محمد الدلال الحموي، والشيخ محمد أديب
الخوراني المدرس بجامع السلطان بحماه، والشيخ عبد القادر اللبابيدي،
والشيخ محمد سعيد لطفي الحنفي، والشيخ فارس بن أحمد الشقفة،
والشيخ مصطفى الحداد الحموي^(١).

(١) العفند على المهند (طبعة الهند).

واعلم أن زيارته عليه الصلاة والسلام خيرٌ، وأن الإكثار من الخير خير، وعلى الزائر أن يلتزم الأدب، ويجتنب اللهو واللعب.

وعلى الزجر عن سوء الأدب يحمل الأثر الذي رواه عبد الرزاق في «مصنفه» بسنده أن الحسن بن الحسن رأى قوماً عند القبر النبوي، فنهاهم، وساق لهم قول جده عليه الصلاة والسلام: «لا تجعلوا قبري عيداً» الحديث.

وهو يؤيد أن معناه: النهي عن سوء الأدب عند الزيارة، وعن التسامح عندها بما يكون من اللهو عند الأعياد وليس نهياً عن الزيارة.

قال شيخ الإسلام التقي رضي الله عنه: وكيف يتخيل في أحد من السلف منعه من زيارة المصطفى ﷺ وهم مجمعون على زيارة سائر الموتى. اهـ.

غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» .

ومعنى الحديث الشريف على ما تعطيه رواياته من جميع طرقه :
النهي عن أن يقصد القبر بالصلاة عليه أو إليه تعظيماً لصاحب القبر أو
للقبر، فإن ذلك كان ذريعةً لمن سبق من الأمم إلى الشرك وعبادة القبور
وأهلها.

وقد اعتبر الشارع بهذا النهي هذه الذريعة فسدها على أمته لئلا
يقعوا فيما وقع فيه الأمم قبلهم، وقد حقق الله رجاءه، واستجاب دعاءه،
فليس في المسلمين من يعظم قبره ﷺ بالصلاة عليه أو إليه .

وقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام الإشارة إلى دفنه في هذا
الموضع، فقد روى البزار بسند صحيح، والطبراني مرفوعاً: «ما بين
قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»، بلفظ (القبر) بدل (البيت) فقد
علم أن مسجده الشريف يكون بجوار قبره، وحكم له بهذا الفضل
ورغب الأمة في إتيانه، ولم يأمرهم بهجر مسجده لأجل القبر ولا
بهدمه، بل صرح بأن الصلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا
المسجد الحرام، وخص ما يلي القبر الشريف إلى المنبر بأنه «روضة من
رياض الجنة» .

التحكم في النقل بالهوى والغرض، فينقل من الأقوال ما يوافق رأيه
ويترك ما يعارضه وهو خيانة في العرض والنقل.

إدخال الحجرة النبوية في المسجد الشريف وتوجيه المراد من حديث

«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»

لما كثر المسلمون، وضاق المسجد النبوي عن المصلين؛ فلم يعد يستوعبهم بعد الزيادة التي زادها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه، أمر الوليد بن عبد الملك عامله على المدينة المنورة عمر بن عبد العزيز بهدم بيوت أمهات المؤمنين رضي الله عنهم وإدخالها في المسجد توسعةً له، فقد كانت محيطة بالمسجد النبوي الشريف من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي، وأبوابها شارعة فيه.

فبكى الناس يومئذٍ على هدم البيوت لا على إدخال القبور المشرفة إلى المسجد، والذي قام بذلك ونفذه عمر بن عبد العزيز - المعروف بصلاحه ونقاؤه - في عهد التابعين، وقد كان فيهم بقايا من أصحاب رسول الله ﷺ.

قال ابن أبي أنس: قد رأيتني في مسجد رسول الله ﷺ وفيه نفرٌ من أصحابه: أبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو أمامة بن سهل، وخارجة بن زيد - يعني لما نُقضت حُجر أزواجه عليه الصلاة والسلام - وهم ييكون حتى اخضلت لحاهم من الدمع، وقال يومئذٍ أبو أمامة: ليتها تُركت حتى يقصر الناس في البنيان، ويروا ما رضي الله سبحانه لنبه ﷺ ومفاتيح الدنيا بيده^(١).

(١) الدرة الثمينة في أخبار المدينة للحافظ محمد بن محمود بن النجار ص ٣٥٨، ٣٥٩.

فلم ير هؤلاء ولا غيرهم أن إدخال القبور المشرفة في المسجد مخالف للدين، أو ذريعة إلى شرك الأمة وضلالها وكفرها، وأنها بذلك تكون قد اتخذت قبور نبيها ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما مسجداً، وأنها قد فعلت كما فعل اليهود والنصارى فاستوجبت بذلك اللعنة - حاشاهم من ذلك - وكل ما فعلوه أنهم أداروا حيطاناً مرتفعة على القبور الشريفة لكيلا تظهر في المسجد فيصلي إليها العوام، ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من جهة الشمال حتى لا يمكن استقبال القبر الشريف في الصلاة.

أما ما يفهمه كثير من الناس - اليوم - من معنى قوله ﷺ: «لعن الله اليهود النصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» إلخ. من أن المراد من ذلك هو بناء المساجد على قبور الأنبياء والصالحين، وأن ذلك يؤدي إلى عبادتها وتعظيمها، فهو فهم سيء يؤدي إلى لعن الأمة وضلالها وخروجها عن المنهج القويم، اتباعاً لما كان عليه اليهود والنصارى من التبديل والتغيير، فيكونون بذلك من شرار الخلق عند الله.

فكيف يتفق هذا الفهم مع ما قد ثبت في حق هذه الأمة بالكتاب والسنة المتواترة من أنها خير أمة أخرجت للناس، وأنها لا تتردد إلى الشرك مرة أخرى، ولا تجتمع على ضلالة.. إلى غير ذلك مما جاء في وصفها ونعتها؟

وكيف يفعل هذا في عهد التابعين وفيهم بقايا الصحابة، ثم تجتمع الأمة منذ هذا العهد وإلى الآن على بناء المسجد على قبر نبيها ﷺ، أو إدخال القبور الشريفة إلى المسجد؟ فالنتيجة واحدة.

لا شك أن هذا الفهم الخاطيء يؤدي إلى ما ذكرنا وإلى انحراف البعض وغلوهم في تكفير الأمة وتضليل خيارها - سلفاً وخلفاً - حتى جاهر بعضهم بتغيير وضع الحجرة النبوية - بإخراج القبر الشريف المكرم

وظاهر حديث: «إني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي» أعظم برهان في تكذيبها.

وأخيراً نقول:

إن إدخال القبر النبوي الشريف في المسجد من أعلام نبوته ﷺ، فالنبي ﷺ أخبر بأن قبره الشريف سيكون داخل مسجده، بل زاد فأخبر بأن ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، فهذا ترغيب في بيان فضيلة الصلاة بين القبر والمنبر، وإذا لم يكن القبر الشريف داخل المسجد لا تتصور الصلاة بين القبر والمنبر، ولا يتأتى التعبير بقوله ﷺ: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة».

لأنه إذا كان المنبر وسط المسجد والبيت الذي فيه قبره الشريف ﷺ خارج المسجد، لم يصح التعبير بالبينية خصوصاً عند إرادة الصلاة، فإن البيت وسوره حاجز بين القبر والمنبر مانع من الصلاة في موضعه^(١).

قال ابن حزم في «المحلى»: وقد أنذر عليه الصلاة والسلام بموضع قبره بقوله: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة» وأعلم أنه في بيته بذلك، ولم يُنكر عليه الصلاة والسلام كون القبر في البيت ولا نهى عن بناء قائم، وإنما نهى عن بناء على القبر قبة فقط^(٢) اهـ.

أي على نفس القبر ملتصقاً به على هيئة القبة، كما جرت به عادة أكثر الناس.

أما الذين يتعللون بأن لفظ الحديث في أكثر طرقه إنما هو «ما بين

(١) إحياء المقبور في جواز بناء المساجد على القبور للسيد أحمد بن الصديق الغماري ص ٣٤.

(٢) المحلى لابن حزم ج ٥ ص ١٩٨.

بيتي ومنبري» فالجواب عن ذلك أن هذا بالنسبة لرواية البخاري فقط لا بالنسبة لسائر طرق الحديث كما صرح الحافظ ابن حجر في «الفتح» من كونه ورد بلفظ (القبر) من حديث سعد بن أبي وقاص بسند رجاله ثقات، وقد نص الطحاوي في «مشكل الآثار» على أن أكثر الروايات لهذا الحديث إنما هي بلفظ «قبري»^(١).

وعلى فرض أنه ﷺ أراد نفس البيت لا القبر فقد علم ﷺ بإعلام الله إياه أن بيته سيدخل في المسجد، وأن قبره سيكون فيه، فيكون القبر داخل المسجد، وبه صار ما بين البيت والمنبر روضة من رياض الجنة.

فكيفما دار الحديث دل على المطلوب، وهو إذن النبي ﷺ بإدخال قبره الشريف في المسجد.

وقد تم ذلك في عهد التابعين وفيهم بقايا أصحاب رسول الله كما ذكرنا، وبينهم كبار أئمتهم وعلمائهم، مثل عمر بن عبد العزيز، والحسن، وابن سيرين، وفقهاء المدينة، والكوفة، والبصرة، والشام، وغيرها من أقطار الإسلام، ثم أجمعت الأمة بعدهم على ذلك وإجماعهم حجة.

ولو كان منهيًا عنه لاستحال أن تتفق الأمة في عصر التابعين - في نهاية القرن الأول الذي هو خير القرون الثلاثة - على المنكر والضلالة، ولا يقال إنهم سكتوا من أجل ضرورة توسعة المسجد فإنه كان في الإمكان توسعته من جهة القبلة والجهة المقابلة لها، والجهة الجنوبية لها دون الجهة الشمالية الواقع فيها قبره ﷺ.

فلما تم هذا بمرأى من التابعين ولم ينه أحدهم عن ذلك، ولم

(١) مشكل الآثار ج ٤ ص ٧٢.

ينقل إلينا اعتراض، دل ذلك على أن وضع الحجرة المشرفة بهذه الكيفية في مسجده ﷺ لا علاقة له بما جاء في حديث: لعن الله اليهود والنصارى... إلخ، والله أعلم.

أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ.

وفي «وفاء الوفا» للسمهودي روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: لا ينبغي رفع الصوت على النبي ﷺ لا حياً ولا ميتاً.

وأن عائشة رضي الله عنها كانت إذا وتد الوتد، أو ضرب المسمار في بعض الدور المطيقة بالمسجد النبوي الشريف، ترسل إليهم: أن لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قلت: وإنما فعلت عائشة رضي الله عنها ذلك طلباً للاقتصار على قدر الحاجة في ذلك، لأن فعل ما زاد عليه في تلك الحضرة الشريفة ليس من الأدب، وهو ﷺ يتأذى ممن لا يراعي كمال الأدب معه لأنه حي في الدارين.

وليست هناك صيغة مخصوصة للزيارة يسن التزامها أو التقيد بها، بل لو صلى وسلم على النبي ﷺ بأي صيغة أو أسلوب كفى، ويكفيه أن يقتصر على قوله: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر الصديق، السلام عليك يا أبا حفص عمر، كلما دخل المسجد. فقد كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا دخل المسجد يقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت، ثم ينصرف.

قال الشيخ ابن تيمية إذا قال في سلامه: السلام عليك يا رسول الله، يا خيرة الله من خلقه، يا أكرم الخلق على ربه، يا إمام المتقين، فهذا كله من صفاته بأبي هو وأمي ﷺ.

وينبغي أن يحترس مما يفعله بعض الناس أمام الحجرة من تمسح ونحوه، فلا يستلم الحجرة ولا يقبلها ولا يطوف بها، ولا يتصنع جداً أو حالاً أو شوقاً كاذباً، فإن المتشبع بما ليس عنده كلابس ثوبي زور.

وقد حفظ الله تلك الرحاب الطاهرة من كل ما ينافي التوحيد، ولا

يوجد بين الأمة المسلمة بحمد الله من يعتقد فيه ﷺ، أو في قبره ﷺ اعتقاداً باطلاً، استجابة لدعائه ﷺ حين قال: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد»، وتحقيقاً لما أخبر به أنه لا يجتمع دينان بجزيرة العرب، وأن الشيطان قد أيس أن يُعبد بالجزيرة.

آداب الزيارة في نونية ابن القيم التوحيدية

ولا تظنن ما يفعله بعض الناس مما ظاهره ينافي التوحيد إلا صادراً
عن جهل يحتاج إلى تعليم وتنبيه.

قال الشيخ ابن القيم:

ولقد نهانا أن نصير قبره ودعا بأن لا يجعل القبر الذي
عيداً حذار الشرك بالرحمن فاجاب رب العالمين دعاءه
قد ضمته وثناً من الأوثان وأحاطه بثلاثة جدران
حتى غدت أرجاؤه بدعائه في عزة وحماية وصيان
وينبغي للمسلم أن يتأدب في تلك الحضرة، ملاحظاً أنه ﷺ يشعر
به ويعرفه ويرد عليه السلام ويعلم موقفه، وأن حرمة ميتاً كحرمة حياً.

قال الشيخ ابن القيم:

فإذا أتينا المسجد النبوي صَـ ثم انثنينا للزيارة نقصد الـ
فنقوم دون القبر وقفة خاضع فكأنه في القبر حيّ ناطق
ملكته تلك المهابة فاعترت وتفجرت تلك العيون بمائها
وأتى المسلم بالسلام بهيبة لم يرفع الأصوات حول ضريحه
لأينا التحية أولاً ثنتان قبر الشريف ولو على الأجفان
متدلل في السر والإعلان فالواقفون نواكس الأذقان
تلك القوائم كثرة الرجفان ولطالما غاضت على الأزمان
ووقار ذي علم وذو إيمان كلاً ولم يسجد على الأذقان

تحليل القصيدة:

ولو تأمل الناظر هذه القصيدة بتبصر وتفكر وإنصاف لوجد أنها تعبير صادق عما يعتقد المحبون والزائرون لرسول الله ﷺ والمتعلقون به والمادحون والمعظمون له تعظيم المحب الصادق الموحد المؤمن المتبع للسلف الصالح القائم بأقل مما أوجه عليه ربه سبحانه وتعالى في حق نبيه ﷺ كما جاء عنه.

أقول: لو تأمل الناظر ما جاء في هذه القصيدة من وصف الحال الذي ينبغي أن يكون عليه الزائر الواقف أمام المواجهة الشريفة للسلام عليه ﷺ لوجد أن كثيراً من الناس مقصرون في هذا الأدب، ويعيدون بُغداً كبيراً عن مراعاة ما ينبغي نحو هذا المقام النبوي العظيم، وأن حالهم الذي نراهم عليه ينقص كثيراً عن الحال العالي الرفيع المطلوب الذي وصفه الشيخ ابن القيم، هذا الحال الذي لا يحصل عن كثير من هؤلاء الواقفين القائمين للسلام على سيدنا رسول الله ﷺ.

هل يحس المتوجه إلى القبر الشريف بأنه يمشي على عينيه لا على قدميه كما يقول الشيخ ابن القيم في هذه النونية:

ثم انثنينا للزيارة نقصد الـ قبر الشريف ولو على الأجفان
ويتفق شيخنا السيد محمد أمين كتبي مع الشيخ ابن القيم في هذا الأدب حيث يقول:

هذي المدينة قد بدت أعلامها	والعنبرية بابها المأهول
فاملاً عيونك من بلاد قد ثوى	فيها النبي وقد مشى جبريل
ثم اتت روضته وصل بها رقل	ما تشتهي منها فانت نزيل
وإذا دنوت من النبي فقف على	عينيك واستحضره حيث تقول
وقل السلام عليك يا من ظلّه	أبدأ على هذا الوجود ظليل

وقفنا وسلمنا على خير مُرْسَل وخير نبي ماله من مناظر
فرد علينا وهو حي وحاضر فشرف من حي كريم وحاضر
وفي هذا المعنى العظيم يقول الإمام الفقيه الشيخ ابن حجر
الهيتمي :

تواترت الأدلة والنقول	فما يحصي المصنف ما يقول
بأن المصطفى حي طري	هلال ليس يطرقه أقول
وأن الجسم منه بقاء لحد	كورد لا يدنس الذبول
وأن الهاشمي بكل وصف	جميل لا يغيره الحلول
وأن الدود لا يأتي إليه	كذا الآفات ليس لها وصول
ولم تأكل له الخبراء لحمًا	ولا عظمًا، وأثبت ما أقول

إلى آخر القصيدة الغراء.

وفي هذا المعنى يقول العلامة أبو عبد الله محمد بن أبي بكر
المشهور بابن الرشيد البغدادي :

وقفنا وسلمنا عليه وإنه	ليسمعنا من غير شك فديناه
ورد علينا بالسلام سلامنا	وقد زادنا فوق الذي قد بدأناه
كذا كان خُلُقُ المصطفى وصفاته	بذلك في الكتب الصحاح عرفناه

ويلتقي شيخنا السيد محمد أمين كتبي مع الشيخ ابن القيم في هذا
الأدب حين يقول:

يا سَعْدَ مَنْ زَارَ الْحَبِيبَ وَقَامَ فِي	أَعْيَابِهِ بِتَأْدَبٍ وَتَوْقَرٍ
وَرَأَى مَشَاهِدَهُ الْكَرِيمَةَ كُلَّهَا	بَيْنَ الْعُرِيضِ وَبَيْنَ بَابِ الْعَنْبَرِ
وَأَقَامَ أَيَّامَ الزِّيَارَةِ يَغْتَنِي	وَيَرْوِحُ فِي ظِلِّ النَّخِيلِ الْمُثْمَرِ
وَيَرَى أَحَبَّهُ وَيَمْلَأُ عَيْنَهُ	مِنْهُمْ وَيَخْفِقُ قَلْبُهُ فِي الْمُحَضَرِ
زُرْنَا الْبَقِيعَ وَسَيِّدَ الشُّهَدَا وَمَنْ	فِي ذَلِكَ الْوَادِي الْفَسِيحِ الْأَزْهَرِ
وَقَبَا وَسَلَمًا وَالْعَرِيضَ وَمَنْ بِهِ	وَالْقَبْلَتَيْنِ وَلَمْ نَدْعِ مِنْ مَائِرِ
أَيَّامُنَا كَانَتْ بِهَا مَشْهُودَةٌ	أَيَّامَ أَفْرَاحٍ وَعِيدِ أَكْبَرِ
لَمْ أَنْسَ أَيَّامَ الْمَدِينَةِ إِنَّهَا	تُهْدِي إِلَيَّ نَسِيمَ مَسْكِ أَذْفَرِ
نُورٌ عَلَى نُورٍ وَحَسْبُكَ أَنَّهَا	فِي خَيْرِ دَارٍ لِلْحَبِيبِ وَمُهْجَرِ

ويلتقي الشيخ شمس الدين النواجي مع الشيخ ابن القيم في هذه المعاني الجليلة التي تصوّر حال الزائر الصادق عند الوقوف للسلام على النبي ﷺ أمام قبره الشريف وما ينبغي أن يكون عليه من الأدب والخشوع والبكاء والهيبة فيقول:

قُسِّمَ وَذُرَّ قَبْرُهُ وَنَمَّتْ جِوَاهُهُ	بِخُضُوعٍ وَخُسْرَةٍ وَتَدَامَةٍ
عَقُرَ الْخَدُّ فِي الثَّرَابِ وَطَهَّرَ	هُ بِمَاءِ السَّمْسُوعِ تَمْنَحُ أَثَامَهُ
أَفْضَلَ الْأَرْضِ تُزْبَةُ تُسْرِفَتْ بِأَلِ	بِهَاثِيْمِي الْمُضْطَلَقِي وَضُمَّتْ عِظَامَهُ
وَهَوَّ فِي قَبْرِهِ الْمُعْظَمِ حَيٌّ	مَنْ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ رَدُّ سَلَامِهِ

ويلتقي الشهاب محمود مع الشيخ ابن القيم أيضاً في هذا المعنى

القيم:

هَٰذِي الدِّيَارُ بَلَّغْتَهَا فَلَكَ الْهَنَا
عَفَّرَ بِهَا خَدَّيْكَ وَالْثَمَّ تُرْبَهَا
وَاحْطُطْ رِحَالُ الشُّوقِ فِي أَزْجَائِهَا
وَإِذَا حَصِرْتَ عَنِ الْكَلَامِ فَلَا تُرِغْ
هَٰذَا الْمَقَامَ الْهَاشِمِيَّ وَمَنْزِلُ
هَٰذَا هُوَ الْحَرَمُ الَّذِي حَسَدَتْ عَلَى
لَوْ لَمْ يَفُتْ كُلُّ الْبِقَاعِ لَمَّا عَدَا
هَاشِيكَ رَوْضَتُهُ الَّتِي مَنْ زَارَهَا
هَٰذَاكَ مِثْبَرُهُ الَّذِي كُنْ قَدْ عَلَا
فَاقْبُتْ عَلَى قَدَمَيْكَ وَاشْهَدْهُ وَلَا
هَٰذَا إِذَا اسْطَنَّتِ الْوُكُوفُ أَمَامَهُ
سَلِّمْ وَقُلْ بِتَأْدِبِ يَا خَيْرَ مَنْ

بُشْرَاكَ أَذْرَكْتَ الْمَآرِبَ وَالْمُنَى
وَاسْتَعْجَلِ مَا مَلَأَ الْوُجُودَ مِنَ السَّنَا
وَاثْرُكَ تَذَكُّرَ مَنْ نَأَى أَوْ مَنْ دَنَا
فَالْحُبُّ مَا مَنَعَ الْكَلَامَ الْأَلْسُنَا
الرُّوحَ الْأَمِينِ بَدَا ضِيَاؤُهُمَا لَنَا
إِذْ رَأَيْتُكَ بِهَجَّتِهِ الْقُلُوبَ الْأَغْيُنَا
لِلْمُصْطَفَى دُونَ الْمَوَاطِنِ مَوْطِنَا
فَقَدْ اجْتَلَى نُورَ الْقَبُولِ الْمُجْتَنَى
رُكْنَيْهِ يُرْشِدُ مَنْ هُنَاكَ وَمَنْ هُنَا
تَحْفِلُ بِمَرْءٍ عَنْ أَوَامِرِهِ عَنَّا
أَوَّلًا فَأُولَى أَنْ تُرَاعَ وَتُجِبُنَا
رَأَى اسْمُهُ الْأَسْمَاءَ فِينَا وَالْكُنَى

بقية الآداب

وينبغي لمن وصل إلى المدينة المنورة أن يجتهد في المحافظة على الصلاة في المسجد النبوي المشرف، فقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام».

قال النووي: وهذا التفضيل يعم الفرض والنفل.

وهذا التفضيل يعم المسجد القديم وما أضيف إليه من جديد الآن وقبل الآن. وينبغي أيضاً أن لا ينسى روضة الجنة في الدنيا، ففي الحديث الصحيح مرفوعاً: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة».

وفي لفظ: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة» وأن يجتهد في الصلاة فيها، لكن بشرط أن لا يؤذي أحداً بالمزاحمة والمدافعة، ولا يتأخر في الحضور إلى المسجد، ثم يتوجه إلى الروضة للصلاة فيها فيؤذي المصلين، ويتخطى الرقاب، ويقطع الصفوف، ويشوش على الذاكرين، ويسبب المخاصمة والمجادلة التي قد تخرج إلى المشاتمة والقول القبيح، فهو بهذا قد ارتكب الحرام للوصول إلى الشئ، فوقع في الشر من حيث أراد الخير.

الزيارة والدعاء

ذكر العلماء رضي الله عنهم: أنه يستحب لمن زار النبي ﷺ أن يقف للدعاء مستقبلاً للقبر الشريف، فيسأل الله تعالى ما يشاء من الخير والفضل، ولا يلزمه أن يتوجه إلى القبلة، ولا يكون بوقوفه ذلك مبتدعاً أو ضالاً أو مشركاً، وقد نص العلماء على هذا الأمر، بل قد ذهب بعضهم إلى القول بالاستحباب.

والأصل في هذا الباب هو ما جاء عن الإمام مالك بن أنس لما ناظره أبو جعفر المنصور في المسجد النبوي، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوماً فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ الآية، وقد مدح قوماً فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ الآية، وذم قوماً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ﴾ الآية. وإن حرمة ميتاً كحرمة حياً، فاستكان لها أبو جعفر فقال: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة، بل استقبله، واستشفع به، فيشفعه الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ الآية.

وهذه القصة رواها القاضي عياض بسنده في كتابه المعروف بـ «الشفاع في التعريف بحقوق المصطفى» في باب من أبواب الزيارة^(١) وقد

(١) وقوله: (هو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم) يشير به إلى حديث توسل آدم بالنبي ﷺ، وهو حديث مشهور أخرجه الحاكم في المستدرک وصححه، وكذا البيهقي في دلائل النبوة، وفي المفاهيم (ص ١١٩) بحث واسع عنه، وألف فيه العلماء رسائل خاصة مشهورة.

صرح كثير من العلماء بهذا.

قال الشيخ ابن تيمية: قال ابن وهب فيما يرويه عن مالك: إذا سلم على النبي ﷺ يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة، ويدنو، ويسلم، ويدعو، ولا يمس القبر بيده. اهـ (من اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٩٦).

وصرح النووي بذلك رحمه الله في كتابه المعروف بـ «الأذكار» في أبواب الزيارة، وكذلك في «الإيضاح» في باب الزيارة، وكذلك في «المجموع» له.

قال الخفاجي شارح «الشفاء»: قال السبكي: صرح أصحابنا بأنه يستحب أن يأتي القبر ويستقبله ويستدير القبلة، ثم يسلم على النبي ﷺ ثم على الشيخين، ثم يرجع إلى موقفه الأول ويقف فيدعو^(١). اهـ.

(١) شرح الشفاء للخفاجي ج ٣ ص ٣٩٨.

ثم قال: الجمع بين الروایتين ممكن.

فظهر بهذا أنه يجوز كلا الأمرين، لكن المختار أن يستقبل وقت الزيارة مما يلي وجهه الشريف، وهو المأخوذ به عندنا، وعليه عملنا وعمل مشايخنا، وهكذا الحكم في الدعاء كما روي عن مالك لما سأل بعض الخلفاء، وقد صرح به مولانا الكنكوهي في رسالته «زبدة المناسك».

وعليه توقيع كبار علماء الحديث من أهل السنة والجماعة، وتأيد علماء الحرمين، والأزهر، والشام الذين تقدمت أسماؤهم في الفتوى السابقة في مسألة شد الرحال لزيارة القبر النبوي^(١).

(١) ص ١١٣ من هذا الكتاب.

في ميزان الاعتدال ج ٤ ص ٨).

وأما سعيد بن زيد: فهو صدوق له أوهام، وكذلك حال عمرو بن مالك النكري كما قال الحافظ ابن حجر عنهما في «التقريب».

وقد قرر العلماء بأن هذه الصيغة وهي: «صدوقٌ يَهمُّ» من صيغ التوثيق لا من صيغ التضعيف، كذا في «تدريب الراوي».

وأما أبو الجوزاء: فهو أوس بن عبد الله الربيعي وهو ثقة من رجال الصحيحين، فهذا سندٌ لا بأس به، بل هو جيدٌ عندي، فقد قبله العلماء واستشهدوا بكثير من أمثاله وبمن هم أقل حالاً من رجاله.

ولم تعمل عائشة رضي الله عنها عملاً باطلاً، بل هي تعلم أن النبي ﷺ وصاحبيه يعلمان من هو عند قبورهم.

وقد قال النبي ﷺ لمعاذ حين أرسله لليمن: «فلعلك تمر بقبري ومسجدي». رواه أحمد والطبراني، ورجالهما ثقات إلا يزيد لم يسمع من معاذ^(١)، فتوفي رسول الله ﷺ وجاء معاذ إلى قبر النبي ﷺ باكياً، وشاهده عمر بن الخطاب رضي الله عنه على هذا الحال، وجرت بينهما هذه المحادثة كما رواها زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرج عمر إلى المسجد فوجد معاذ بن جبل عند قبر النبي ﷺ يبكي قال: ما يبكيك؟ قال: حديث سمعته عن رسول الله ﷺ: «اليسير من الرياء شرك».

قال الحاكم: صحيح ولا يعرف له علة، ووافقه الذهبي فقال: صحيح لا علة له^(٢).

وقال المنذري في «الترغيب والترهيب»: رواه ابن ماجه والبيهقي والحاكم وقال: صحيح لا علة له.
قلت: وأقره المنذري^(٣).

(١) مجمع الزوائد ١/١٥٥.

(٢) المستدرک ج ١ ص ٤.

(٣) الترغيب والترهيب ج ١ ص ٨٢.

التوسل بقبر النبي ﷺ في خلافة عمر رضي الله عنه

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أخبرنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسي قالا: حدثنا أبو عمر بن مطر، حدثنا إبراهيم بن علي الذهلي، حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن مالك قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا، فاتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال: «انت عمر فأقره مني السلام وأخبرهم أنهم مسقون، وقل له: عليك بالكيس الكيس»، فأتى الرجل فأخبر عمر فقال: يا رب! ما ألو إلا ما عجزت عنه.

هذا إسناد صحيح، كذا قال الحافظ ابن كثير في «البداية» في حوادث عام ثمانية عشر^(١).

وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار - وكان خازن عمر - قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر رضي الله عنه، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتى الرجل في المنام فقال له: انت عمر... الحديث.

وقد روى سيف في «الفتوح»: أن الذي رأى في المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة، قال ابن حجر: إسناده صحيح. اهـ^(٢).

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٩١/١.

(٢) فتح الباري ج ٢ ص ٤١٥.

ولم يقل أحدٌ من الأئمة الذين رووا الحديث ولا من بعدهم ممن
مرّ بتصانيفهم من الأئمة إنه كفرٌ وضلال، ولا طعن أحد في متن
الحديث به، وقد أورد هذا الحديث ابن حجر العسقلاني في «الفتح»،
وصحح سنده كما تقدم، وهو من هو في علمه وفضله ومقامه بين حفاظ
الحديث مما لا يحتاج إلى بيان وتفصيل.

هل يجوز التبرك بالقبر النبوي

التبرك بقبره الشريف في مذهب عمر بن الخطاب:

لما حضرت الوقاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لابنه عبد الله: انطلق إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل أمير المؤمنين، فإنني لست اليوم بأمير المؤمنين، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، قال: فاستأذن وسلم، ثم دخل عليها وهي تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأثره اليوم على نفسي، فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء، فقال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، أذنت، فقال: الحمد لله، ما كان شيء أهم إليّ من ذلك، فإذا أنا قبضت فأحملوني، ثم سلّم، وقل: يستأذن عمر، فإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردّوني فردوني إلى مقابر المسلمين.

أخرجه بطوله البخاري في كتاب الجنائز، باب «ما جاء في قبر النبي ﷺ»، وفي كتاب فضائل الصحابة باب: «قصة البيعة».

التبرك بالقبر النبوي

في مذهب حافظ الإسلام وإمام أئمة الإسلام الذهبي

قال الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي: أخبرنا أحمد بن عبد المنعم، غير مرة، أنا أبو جعفر الصيدلاني - كتابة - أنا أبو علي الحداد حضوراً - أنا أبو نعيم الحافظ، نا عبد الله بن جعفر، ثنا محمد بن عاصم، نا أبو أسامة، عن عبيد الله بن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما: «أنه كان يكره مس قبر النبي ﷺ».

قلت^(١): كره ذلك لأنه رآه إساءة أدب. وقد سئل أحمد بن حنبل عن مس القبر النبوي وتقبيله فلم ير بأساً، رواه عنه ولده عبد الله بن أحمد.

فإن قيل: فهلاً فعل ذلك الصحابة؟ قيل: لأنهم عاينوه حياً، وتملأوا به وقبلوا يده، وكادوا يقتتلون على وضوئه، واقتسموا شعره المطهر يوم الحج الأكبر، وكان إذا تنخّم لا تكاد نخامته تقع إلا في يد رجل، فيدلك بها وجهه، ونحن فلما لم يصح لنا مثل هذا النصيب الأوفر، ترامينا على قبره بالالتزام والتبجيل والاستلام والتقبيل، ألا ترى كيف فعل ثابت البناني؟ كان يقبل يد أنس بن مالك ويضعها على وجهه ويقول: يدّ مست يد رسول الله ﷺ. وهذه الأمور لا يحركها من المسلم إلا فرط حبه للنبي ﷺ، إذ هو مأمور بأن يحب الله ورسوله أشد من حبه لنفسه وولده والناس أجمعين، ومن أمواله ومن الجنة وحوورها، بل

(١) القائل هو الحافظ الذهبي.

خَلَقَ من المؤمنين يحبون أبا بكر وعمر أكثر من حُبِّ أنفسهم.
حكى لنا جُنْدَار أنه كان بجبل البقاع فسمع رجلاً سب أبا بكر،
فسل سيفه وضرب عنقه، ولو كان سمعه يسه أو يسب أباه لما استباح
دمه. ألا ترى الصحابة في فرط حُبهم للنبي ﷺ قالوا: ألا نسجد لك؟
فقال: لا، فلو أذن لهم لسجدوا له سجود إجلال وتوقير لا سجود
عبادة، كما قد سجد إخوة يوسف عليه السلام ليوسف. وكذلك القول
في سجود المسلم لقبر النبي ﷺ على سبيل التعظيم والتبجيل لا يُكْفَر به
أصلاً، بل يكون عاصياً، فليُعرَف أن هذا منهي عنه. وكذلك الصلاة إلى
القبر^(١).

(١) معجم الشيوخ للذهبي ج ١ ص ٧٣ - ٧٤.

النبي ﷺ يُجيب من ناداه

النبي ﷺ يجيب من ناداه قائلاً: يا محمدا
في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند أبي يعلى في ذكر عيسى
عليه السلام: «ولئن قام على قبري فقال: يا محمدا لأجيته».
ذكره المحافظ ابن حجر في: «المطالب العالية» ٤: ٢٣ بعنوان:
حياته ﷺ في قبره.

الزيارة النبوية والتوسل

من أعظم القربات والطاعات التي يفرح بها الزائر التوسل برسول الله ﷺ، إن التوسل بالنبي ﷺ وغيره من الأنبياء والأولياء جائز، بل مندوب، وقد عُذَّ من آداب الدعاء على ما في «الحصن» وهو بمعنى الدعاء والسؤال من الله تعالى بجاههم لديه والتوجه إليه بحرمتهم عنده، وقد ألف كثير من أجلاء علماء السنة والجماعة في جواز ذلك كتباً مستقلة وبسطوا فيها أدلة منها قوله تعالى: ﴿يَكُنْ لَهُمُ الْوَسِيلَةَ أَلَّتْهُمْ عَنْهُ﴾ (١) وذلك أن ابتغاء الوسيلة إليه هو التوسل إليه بما يُقرِّبه إليه، سواء في ذلك الأعمال والأشخاص أولو المكانة والجاه عنده إبقاء للمطلق على إطلاقه، وتخصيصه بالتوسل بالأعمال تحكم لا داعي له، كيف وإن الذوات الفاضلة أفضل من الأعمال الصادرة عنها، ويبعد التخصيص المذكور أن الله تعالى أمر بالتقوى وهي فعل المأمور به وترك المنهي عنه، فإذا حمل ابتغاء الوسيلة على التوسل بالأعمال كان ذلك تأكيداً للأمر بالتقوى، وحمل الكلام على التأسيس خير من حمله على التأكيد.

(١) سورة المائدة: آية ٣٥.

الزيارة والمناسك

وتذكر أكثر كتب المناسك أنه ينبغي للحاج أن لا يفوت فرصة زيارة المصطفى عليه الصلاة والسلام خصوصاً وقد وصل إلى هذه الأماكن.

قال النووي: إذا انصرف الحجاج والمعتمرون من مكة، فليتوجهوا إلى مدينة رسول الله ﷺ لزيارة تربته ﷺ، فإنها من أهم القربات وأنجح المساعي.

ثم ذكر الشيخ النووي بعد ذلك آداب الزيارة والسلام على النبي ﷺ وذكر ما ينبغي من الآداب المطلوبة من الزائر أثناء إقامته في المدينة المنورة، وكل ذلك مفصلاً في كتابه الجامع للمناسك المسمى بـ «الإيضاح» في الباب السادس^(١).

تعليق ابن حجر:

قال العلامة الفقيه الشيخ ابن حجر الهيتمي في حاشيته معلقاً على قول النووي: «إذا انصرف الحجاج» قال: حكمة تقييده كالأصحاب سنّ الزيارة بفراغ النسك، مع أنها مطلوبة في كل وقت إجماعاً، بل قيل بوجوبها، إذ غالب الحجاج ليست المدينة الشريفة على طريقهم، وإنما يتوجهون إلى مكة أولاً للحج، وأيضاً فهي في حق الحاج أكد لخبر: «من حج ولم يزرني فقد جفاني» وإن كان في سننه مقال.

ولأنه إذا جاء من الآفاق البعيدة وقرب من المدينة، يقبح منه ترك

(١) الإيضاح للنووي ص ٤٨٧.

الزيارة لدلالته على عدم اهتمامه بما هو من أهم القربات وأنجح المساعي، وهل البداءة بالمدينة قبل مكة أفضل أو عكسه؟ فيه خلاف بين السلف، وظاهر كلام الأصحاب يُوحى إلى ترجيح البداءة بمكة، والذي يتجه أن يقال إن اتسع الزمن للزيارة مع اتساع بعدها للحج فالأولى تقديمها مبادرةً لتحصيل هذه القرية العظيمة، فإنه ربما يعوقه عائق عن التوجه إليها بعد الحج، وإن لم يتسع لذلك قدم الحج (كذا في الحاشية ص ٤٨٨).

وذكر ابن عبد البر، والبلاذري وغيرهما: أن زياد بن أبيه أراد الحج، فأتاه أبو بكر وهو لا يكلمه، فأخذ ابنه ليخاطبه ويُسمع زياداً، فقال: إن أباك فعل وفعل، وإنه يريد الحج، وأم حبيبة هناك، فإن أذنت له فأعظم بها مصيبة وخيانة لرسول الله ﷺ، وإن هي حجبته فأعظم بها حجة عليه.

قال البلاذري: فترك الحج تلك السنة، وقيل غير ذلك، فلولاً أن إتيان المدينة والزيارة للحج عندهم مما لا يترك ما قال أبو بكر ذلك مع تمكن زياد من الحج على غير طريق المدينة، فإنه كان بالعراق ومكة أقرب إليه.

وفي «الشفاء» قال إسحاق بن إبراهيم الفقيه: ومما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، والتبرك برؤية روضته، ومنبره وقبره، ومجلسه، وملامس يديه، ومواطىء قدميه، والعمود الذي يستند إليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه ومن عمره وقصده من الصحابة وأئمة المسلمين، والاعتبار بذلك كله.

واختلف السلف في أن الأفضل للحاج البداءة بالمدينة أو بمكة، وإن ممن اختار البداءة بالمدينة: علقمة، والأسود، وعمرو بن ميمون من

التابعين، ولعل سببه إيثار الزيارة أولاً.

وفي فتاوى أبي الليث السمرقندي، روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة أنه قال: الأحسن للحاج أن يبدأ بمكة، فإذا قضى نسكه مرّاً بالمدينة وإن بدأ بها جاز^(١).

(١) خلاصة الوفا ص ١٠٠.

نصوص الأئمة الحنابلة في استحسان الزيارة مع المناسك

قال الشيخ أبو محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة: ويستحب زيارة قبر النبي ﷺ. ثم قال: وإذا حج الذي لم يحج قط - يعني من غير طريق الشام - لا يأخذ على طريق المدينة، لأنني أخاف أن يحدث به حدث فينبغي أن يقصد مكة من أقصر الطرق ولا يتشاغل بغيره.

قال الشيخ شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن قدامة الحنبلي في كتابه «الشرح الكبير».

مسألة: فإذا فرغ من الحج استحب زيارة قبر النبي ﷺ وقبر صاحبيه رضي الله عنهما. اهـ (الشرح الكبير ج ٣ ص ٤٩٥).

وقال الشيخ منصور بن يونس البهوتي في كتابه «كشف القناع عن متن الإقناع»:

فصل: وإذا فرغ من الحج استحب له زيارة قبر النبي ﷺ وقبري صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

تنبيه: قال ابن نصر الله: لازم استحباب زيارة قبره ﷺ استحباب شد الرحال إليها، لأن زيارته للحاج بعد حجه لا تمكن بدون شد الرحال، فهذا كالتصريح باستحباب شد الرحل لزيارته ﷺ. اهـ. (كشف القناع ج ٣ ص ٥٩٨).

فوائد الزيارة النبوية

عقد لذلك الإمام الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي فصلاً في كتابه الجليل «الجواهر المنظم» فقال:

الفصل الثاني

في فضائل الزيارة وفوائدها

وفيها دلائل واضحة وتأييدات ظاهرة لائحة على ما برهنا عليه في الفصل الأول من أنها مشروعة مطلوبة، وأنها من أنجح المساعي، وأهم القربات، وأفضل الأعمال، وأزكى العبادات، إذ هي إنما تمتاز بتمايز ثمراتها، وتفاوت ثوابها وتباين درجاتها، ومن تأمل ما يأتي علم أن في زيارته ﷺ من عظيم الفوائد ما يبلغ به المخلص فيها إلى أعلى المقاصد، ويرد به أعذب الموارد وأوسع العوائد.

اعلم أنه مرت أحاديث كثيرة منها ما حكم عليه بعض الحفاظ بالصحة، ومنها ما هو جيد الإسناد، ومنها ما يتقوى بغيره، متضمنة لفضائل عظيمة تحصل للزائر، فلا بأس بسردها هنا لئلا تحضر فوائدها وترجى عوائدها وهي:

قوله ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتي».

ومعنى «وجبت له شفاعتي»: أنها ثابتة له بالوعد الصادق لا بد منها، وأفاد قوله ﷺ مع عموم شفاعته له ولغيره أنه يختص بشفاعة تناسب عظيم عمله، إما بزيادة التعميم، وإما بتخفيف الأهوال عنه في ذلك اليوم، وإما بكونه من الذين يحشرون بلا حساب، وإما برفع

درجات في الجنة، وإما بزيادة شهود الحق والنظر إليه، وإما بغير ذلك مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

هذا كله إن أريد أنه يُخَصَّ شفاعته لا تحصل لغيره، ويحتمل أن يراد أنه يُفرد بشفاعة مما يحصل لغيره، والإفراد للتشريف والتقوية بسبب الزيارة، وأن يراد أنه ببركتها يجب دخوله فيمن تناله الشفاعته فهو بشرى بموته مسلماً، فيجربى على عمومته ولا يُضمَر فيه شرط الوفاة على الإسلام، وإلا لم يكن لذكر الزيارة معنى، لأن الإسلام وحده كافٍ في نيل هذه الشفاعته بخلافه عن الأولين.

وأفادت إضافة الشفاعته له ﷺ أنها شفاعته عظيمة جليلة إذ هي تعظم بعظم الشافع، ولا أعظم منه ﷺ، فلا أعظم من شفاعته.

وقوله ﷺ: «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي».

وقوله ﷺ: «من جاءني زائراً لا عمله حاجة إلا زيارتي كان حقاً علي أن أكون له شافعاً يوم القيامة».

وقوله ﷺ: «من جاءني زائراً كان له حقاً على الله عز وجل أن أكون له شافعاً يوم القيامة».

والحاصل: أن هذا الثواب العظيم وهو الفوز بتلك الشفاعته العظيمة منه ﷺ، لا يحصل إلا لمن أخلص وجهته فيها بأن لا يقصد بها أو معها أمراً آخر ينافيها.

ومن أعظم فوائد الزيارة: أن زائره ﷺ إذا صلى وسلم عليه ﷺ عند قبره سمعه سماعاً حقيقياً، ورد عليه من غير واسطة وناهيك بذلك، بخلاف من يصلي أو يسلم عليه ﷺ من بُعد، فإن ذلك لا يبلغه ﷺ ولا يسمعه إلا بواسطة، والدليل على ذلك أحاديث كثيرة.

منها: ما جاء عنه ﷺ بسند جيد - وإن قيل: إنه غريب -: «من

صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى عليّ من بعيد أعلمته».

وفي رواية في سندها متروك: «من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى عليّ نائياً - أي: بعيداً - وكل الله به ملكاً يبلغني وكُفّي أمر دنياه وآخرته وكنت له يوم القيامة شهيداً أو شقيقاً».

وفي رواية: «ما من عبد يسلم عليّ عند قبري إلا وكل الله به ملكاً يبلغني».

وفي أخرى في سندها ضعف لكن له شواهد تقويه: «أكثروا الصلاة عليّ فإن الله وكل بي ملكاً عند قبري فإذا صلى عليّ رجل من أمّتي قال ذلك الملك: يا محمد إن فلان ابن فلان صلى عليك الساعة».

وفي أخرى سندها حسن، بل صحيح كما قاله النووي وغيره ونوزع بما لا يقدح: «ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام».

وروى ابن بشكوال: «ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه».

وفي رواية: «ما من مسلم يسلم عليّ في شرق ولا غرب إلا أنا وملائكة ربي نرد عليه السلام» وسندها غريب بل فيه من اتهمه الذهبي بوضعه.

وفي أخرى سندها ضعيف: «إن أقربكم مني يوم القيامة في كل موطن أكثركم عليّ صلاة في الدنيا».

وفي رواية: «من صلى عليّ في يوم الجمعة وليلة الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة، سبعين من حوائج الآخرة، وثلاثين من حوائج الدنيا، ثم يوكل الله بذلك ملكاً يدخله في قبري كما تدخل عليكم الهدايا

يخبرني بمن صلى عليّ باسمه ونسبه إلى عشيرته فأثبتته عندي في صحيفة بيضاء .

وفي رواية زيادة: «إن علمي بعد الموت كعلمي في الحياة» .
وفي رواية أخرى رجالها ثقات إلا واحداً لم يعرف: «من صلى علي بلغتنى صلاته، وصليت عليه، وكتب له سوى ذلك عشر حسنات» .
وفي رواية أخرى صحيحة خلافاً لمن طعن فيها؛ فقد أخرجها ابن خزيمة وابن حبان في «صحيحيهما»، والحاكم في «مستدركه» وقال: هذا حديث حسن صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه .

وممن صححه أيضاً النووي في «أذكاره»، وحسنه عبد الغني، والمنذري، وقال ابن دحية: إنه صحيح محفوظ بنقل العدل عن العدل، ومن قال إنه منكر أو غريب لعله خفية فقد استروح لأن الدارقطني ردها: «من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي» فقالوا: يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت - يعني: وقد بليت؟

قال: «إن الله عز وجل حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» صلوات الله عليهم^(١) .

قال الخطابي: و(أرمت) بفتح أوليه وسكون ثالثه وفتح آخره، أصله أرمت أي: صرت رميماً حذفت إحدى الميمين تخفيفاً كأظلت أي: أظلمت، والرميم والرمة العظام البالية .

وقال غيره: الميم مشددة والتاء آخره ساكنة أي: أرمت العظام، وقيل: يروى بضم أوله وكسر ثانيه .

(١) الحديث رواه أحمد في مسند أوس بن أبي أوس الثقفى ٨/٤ .

وفي أخرى رجالها ثقات إلا أنها منقطعة: «أكثرُوا من الصلاة عليَّ يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهد الملائكة وإن أحداً لن يصلي علي إلا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها».

قال راويه أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: وبعد الموت؟ فقال: «وبعد الموت، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنبى الله ﷺ حي يرزق».

أي من المعارف الربانية والمراتب الرحمانية ما يليق بعلي مقامه، ويتلذذ في قبره الشريف ﷺ كما كان يتلذذ به قبل وفاته فيكون غذاء لروحه الشريفة ﷺ عبر عنه بالرزق إشارة إلى أنه يشمل النعم الباطنة كالظاهرة في الحياة وبعد الموت^(١).

(١) انتهى ملخصاً من الجوهر المنظم لابن حجر الهيتمي ص ٥٠.

عَرَضُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ﷺ

وفي الأحاديث ما يدل على عرضها عليه ﷺ وقت قولها، ويوم الجمعة، ويوم القيامة ولا تناقي بينها. فقد يكون العرض عليه ﷺ أي التبليغ له مرات متعددة كما ورد في أحاديث ما يدل على أن الأعمال تعرض على الله سبحانه وتعالى كل يوم وليلة، ثم كل يوم اثنين ويوم خميس، ثم في كل ليلة نصف شعبان.

وفي أخرى للطبراني: «ليس من عبد يُصلي عليّ إلا بلغني صوته»، قلنا: يا رسول الله وبعد وفاتك؟ قال: «وبعد وفاتي، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء».

أي فسمعهم الحسي كبقية حواسهم الظاهرة والباطنة باقية بحالها كما كانت عليه قبل وفاتهم على نبينا وعليهم الصلاة والسلام، لكن الله تعالى أغناهم عن الاحتياج إلى الغذاء الحسي كرامة لهم كالملائكة وأولى.

وفي أخرى: قلنا: يا رسول الله! كيف تبلغك صلاتنا إذا تضرعتك الأرض؟ قال: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء».

وأخرج جمع أنه ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالى ملكاً أعطاه أسماع الخلائق فهو قائم على قبري إذا مت، فليس أحد يصلي عليّ صلاة إلا قال: يا محمداً صلى عليك فلان ابن فلان، فيصلّي الرب تبارك وتعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشرًا».

وفي أخرى: «فهو قائم على قبري حتى تقوم الساعة فليس أحد من أمتي يصلي عليّ صلاة إلا قال: يا أحمد! فلان ابن فلان - باسمه واسم أبيه - يصلي عليك كذا وكذا، وضمن لي الرب أن من صلى علي

صلاة صلى الله عليه عشرأ وإن زاد زاده الله».

وفي أخرى: «إن الله وكل بقبري ملكاً أعطاه أسماع الخلائق لا يصلي عليّ أحد إلى يوم القيامة إلا بلغني باسمه واسم أبيه هذا فلان ابن فلان قد صلى عليك».

وفي أخرى زيادة: «إني سألت ربي عز وجل أن لا يصلي عليّ واحد منهم صلاة إلا صلى عليه عشر أمثالها، وإن الله عز وجل أعطاني ذلك».

وفي سند الجميع راوٍ ليّته البخاري، ووثقه ابن حبان، وآخر ضعفه بعضهم. انظرها في «الترغيب والترهيب» للمنذري.

إبلاغ السلام في الحضور والغيبة

تنبيه: يجمع بين هذه الأحاديث الظاهرة التعارض بادي الرأي وأحاديث أخرى كثيرة وردت بمعناها أو قريب منها، بأنه ﷺ يُبَلِّغ الصلاة والسلام إذا صدرا من بُعد، ويسمعهما إذا كانا عند قبره الشريف بلا واسطة، وإن ورد أن يبلغهما هنا أيضاً كما مر، إذ لا مانع أنه من عند قبره يُخص بأن الملك يبلغ صلاته وسلامه مع سماعه لهما، إشعاراً بمزيد خصوصيته، والاعتناء بشأنه، والاستمداد له بذلك سواء في ذلك كله ليلة الجمعة وغيرها، إذ المقيد يُقضى به على المطلق، والجمع بين الأدلة التي ظاهرها التعارض واجب حيث أمكن.

وأفتى النووي رحمه الله تعالى فيمن حلف بالطلاق الثلاث أن رسول الله ﷺ يسمع الصلاة عليه، هل يحنث؟ بأنه لا يحكم عليه بالحنث للشك في ذلك، والورع أن يلتزم الحنث.

وعُلم من بعضها أنه ﷺ يرد على من سلم وصلى عليه سواء زائره وغيره، ودعوى اختصاص ذلك بزائره يحتاج إلى دليل، بل يردها الخبر الصحيح: «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام».

فلو اختص رده ﷺ بزائره لم يكن له خصوصية به، لما علمت أن غيره يشاركه في ذلك.

قال أبو اليمن بن عساكر: وإذا جاز رده ﷺ على من يسلم عليه من الزائرين لقبره الشريف ﷺ، جاز رده على من يسلم من جميع الآفاق من أمته على بُعد شقته.

إذا علمت ذلك علمت أن رده ﷺ سلام الزائر عليه بنفسه

الكريمة ﷺ أمرٌ واقعٌ لا شك فيه، وإنما الخلاف في رده على المسلم عليه من غير الزائرين، فهذه فضيلةٌ أخرى عظيمة ينالها الزائرون لقبره ﷺ فيجمعُ لهم بين سماع رسول الله ﷺ لأصواتهم من غير واسطة، وبين رده عليهم سلامهم بنفسه، فأنى لمن سمع بهذين، بل بأحدهما أن يتأخر عن زيارته ﷺ أو يتوانى عن المبادرة إلى المشول في حضرته ﷺ!!

تالله ما يتأخر عن ذلك مع القدرة عليه إلا من حق عليه البُعد عن الخيرات، والطرْد عن مواسم أعظم القربات، أعاذنا الله سبحانه وتعالى من ذلك بمنه وكرمه. آمين.

النبي ﷺ حي حياة لائقة بمقامه

وعلم من تلك الأحاديث أيضاً أنه ﷺ حي على الدوام، إذ المحال العادي أن يخلو الوجود كله عن واحد يسلم عليه في ليل أو نهار، فنحن نؤمن ونصدق بأنه ﷺ حي يرزق، وأن جسده الشريف لا تأكله الأرض وكذا سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والإجماع على هذا.

قيل: وكذا العلماء والمؤذنون والشهداء، صح أنه كشف عن غير واحد من العلماء والأولياء فوجدوا لم تتغير أجسادهم، كما صح أن عبد الله أبا جابر، وعمرو بن الجموح، وهما ممن استشهد يوم أحد حفر السيل قبرهما بعد ست وأربعين سنة فوجدا لم يتغيرا، وكان أحدهما جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فأميظت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت، ولما حفر سيدنا معاوية رضي الله عنه العين التي استنبطها بالمدينة وذلك بعد أخذ بنحو خمسين سنة ونقل الموتى، أصابت المسحاة قدم سيدنا حمزة عم رسول الله ﷺ فسال منها الدم.

نعم الظاهر من الأدلة أن حياة الشهداء أقوى من حياة الأولياء للنص عليها في القرآن الكريم دون حياة الأنبياء، لأنهم بها أولى وأحرى، والتفاوت فيها بمعنى التفاوت في ثمراتها غير بعيد، فتأمل.

وقد نظر بعض أئمتنا إلى أن حياته ﷺ امتازت بأنها تقتضي إثباتها حتى في بعض أحكام الدنيا، فعُدَّ من خصائصه ﷺ أن ما خلفه باقي على ما كان في حياته، فكان ينفق منه سيدنا أبو بكر رضي الله عنه على أهله وخدمه، والموت الواقع له غير مستمر لعود الحياة الكاملة له

واستمرارها .

وقد جمع البيهقي رحمه الله تعالى جزءاً في حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم ، واستدل بكثير من الأحاديث السابقة ، وبالحديث الصحيح : «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون» ، ويشهد له خبر مسلم : «مررت بموسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره» .

ودعوى أن هذا خاصٌّ به يطلها خبر مسلم أيضاً : «فقد رأيتني في الحجر وقرش تسألني عن مسراي...» الحديث .

وفيه : وقد رأيتني في جملة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي فإذا رجل ضرب جعد...» وفيه : «إذ عيسى ابن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شهباً عروة بن مسعود ، وإذا إبراهيم قائم يصلي أقرب الناس به شهباً صاحبكم - أي : يعني نفسه - فحانت الصلاة فأمتهم» .

وفي حديث آخر : أنه لقيهم بيت المقدس ، وفي أخرى : أنه لقيهم في جماعة من الأنبياء بالسموات فكلمهم فكلموه .

قال البيهقي : وكل ذلك صحيح لا يخالف بعضه ، فقد يرى موسى عليه السلام قائماً يصلي في قبره ، ثم يسرى بموسى عليه السلام وغيره إلى بيت المقدس كما أسري بنينا ﷺ فيراهم فيه ، ثم يعرج بهم إلى السموات كما عرج بنينا ﷺ فيراهم فيها كما أخبر ، وحلولهم في أوقات بمواضع مختلفات جائز في العقل كما ورد به الخبر الصادق ، وفي كل ذلك دلالة على حياتهم . انتهى^(١) .

وفي قوله : «رأيتني» مع أن الإسراء كان يقظة على الصواب الرد على من زعم أن ذلك كان مناماً على أن رؤيا الأنبياء وحي .

(١) حياة الأنبياء للبيهقي ص ٨٤ - ٨٥ .

وقد ثبتت حياة الشهداء في البرزخ بنص القرآن الكريم، وصرح ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم بأنه ﷺ مات شهيداً.

ويؤيده قوله ﷺ في مرض موته: «ما زالت أكلة خبير - بالضم لأنه لم يأكل إلا لقمة واحدة - تعاودني حتى كان الآن قطع أبهري» أي أكله من الشاة التي سُمّت له بخبير بسُمّ قاتل من ساعته، وإنما لم يؤثر فيه حالاً معجزة له ﷺ، ثم أثر فيه بعد.

قال العلماء: ليجمع الله تعالى له بين درجتي النبوة والشهادة . اهـ.

ووجه الشهادة أنه قتل من كافر، وإن لم يكن في معركة، واشتراط كونها بها إنما هو لإجراء الأحكام الدنيوية، وفي حصول هذه الحياة لشهيد الآخرة فقط كالغريق والمبطون توقف، وجمهور العلماء على أن حياة الشهداء حقيقية، ثم إنه في قول أنه للروح فقط، وفي قول وللجسد أيضاً، أي بمعنى أنه لا يلى وأنه تستمر فيه أمانة الحياة من الدم وطراوة البدن، وهذا هو المشاهد في أبدانهم كما مر.

والقول بعود أرواحهم إلى أجسادهم وبقائها فيها إلى يوم القيامة، ردوه بأنه مخالف للأحاديث الصحيحة.

والمراد بالروح في الأحاديث السابقة النطق، كما صرح به جماعة؛ فهو ﷺ حي على الدوام، لكن لا يلزم - لما يأتي عند السبكي - من حياته دوام نطقه، وإنما يرد عليه عند سلام كل مسلم أو صلاة كل مصل عليه ﷺ، أي: وعند صلاته ونحوها لما مر أنهم أحياء في قبورهم يصلون، والظاهر أنها صلاة كصلاة الأحياء في الدنيا، وعلاقة التجوز بالروح عن النطق لما بينهما من التلازم غالباً.

وأجاب البيهقي بأن معنى رد الروح إليه: أنه رُدّت إليه عقب دفنه ﷺ لأجل سلام من يسلم عليه، واستمرت في جسده الشريف ﷺ،

لا أنها تُعاد لرد السلام ثم تنزع، ثم ترد لرد السلام وهكذا، أي يلزم عليه من تعدد حياته ووفاته ﷺ في الساعة القصيرة جداً مرات كثيرة، وأجيب: بأنه لا محذور فيه إذ لا نزع ولا مشقة في ذلك الرد وإن تكرر.

وأجاب السبكي: بأنه محتمل أن يكون رداً معنوياً، وأن تكون روحه الشريفة ﷺ مشغلة بشهود الحضرة الإلهية والملا الأعلى عن هذا العالم، فإذا سلم عليه ﷺ أقبلت روحه الشريفة على هذا العالم لتدرك سلام من يسلم عليه وترد عليه، ولا يلزم عليه استغراق الزمان كله في ذلك نظراً لاتصال الصلاة عليه في أقطار الأرض، لأن أمور الآخرة لا تدرك بالعقل، وأحوال البرزخ أشبه بأحوال الآخرة.

وقال بعضهم: المراد بالروح الملك الموكل به ﷺ.

وقال ابن العماد: يحتمل أن يراد به هنا السرور مجازاً، فإنه قد يطلق ويراد به ذلك.

قيل: وإذا تقرر أنه ﷺ حي فلا يقال: عليه السلام، ولا عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الموتى، وقد امتلأت كتب كثير من المصنفين بذلك.. فليجتنب هذا اللفظ.

وروى ابن أبي شيبه أن رجلاً قال: أتيت رسول الله ﷺ قلت: عليك السلام يا رسول الله، فقال: «لا تقل عليك السلام فإن عليك السلام تحية الموتى».

وروى الترمذي بسند حسن أن رجلاً قال للنبي ﷺ: عليك السلام يا رسول الله ثلاث مرات فقال له: «إن عليك السلام تحية الموتى» ثم قال ﷺ: «إذا لقي الرجل أخاه المسلم فليقل: السلام عليك ورحمة الله» ثم رد ﷺ على الرجل سلامه فقال: «وعليك السلام ورحمة الله» ثلاثاً. انتهى.

لكن رده ﷺ على المسلّم به يدل على أن لفظ (عليك السلام) سلام صحيح معتد به، والفصل بين الابتداء والرد بكلام يسير لغرض صحيح لا يضر.

وأيضاً فقد صح أنه ﷺ قال للموتى: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين» فدل على أن معنى كون (عليكم السلام) تحية الموتى أي موتى القلوب، أو أنها عادة جاهلية.

وعلى كل فالسلام أفضل في حق الحي والميت.

ولا ينافي ما تقرر من حياة الأنبياء في قبورهم ما في «صحيح ابن حبان» في قصة عجوز بني إسرائيل: أنها دلت نبي الله موسى على الصندوق الذي فيه عظام يوسف على نبينا وعليهما وعلى سائر الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة والسلام، فاستخرجه وحمله معهم عند قصدهم الذهاب من مصر إلى بيت المقدس، إما لأنها أرادت بالعظام كل البدن، أو لأن الجسد لما لم يُشاهد فيه روح عُبر عنه بالعظم الذي من شأنه عدم الإحساس، أو أن ذلك باعتبار ظنّها أن أبدان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كأبدان غيرهم في البلى.

ولا ينافي ذلك بالنسبة لنبينا محمد ﷺ قوله: «أنا أكرم على ربي من أن يتركني في قبري بعد ثلاث» لقول البيهقي: إن صح هذا الحديث، فالمراد أنهم لا يتركون لا يصلون إلا بهذا القدر، ثم يكونون مصليين بين يدي الله تعالى، وإن كانوا في قبورهم لما مرّ أنهم أحياء يصلون في قبورهم.

وفي خبر غير ثابت أيضاً: أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة، ولكن يصلون بين يدي الله تعالى

حتى ينفخ في الصور، وكان هذا هو سند ما رواه عبد الرزاق عن ابن المسيب أنه رأى قوماً يسلمون على النبي ﷺ فقال: ما مكث نبي في الأرض أكثر من أربعين يوماً، وسند هذه المقالة لا أصل له، فمن ثم لم يعول العلماء عليها بل أجمعوا على خلافها، وأن الأنبياء أحياء في قبورهم، وأنه يُسن السلام عليهم عند قبورهم، ومع البُعد عنها.

على أنه جاء عن ابن المسيب نفسه ما يرد ذلك، وهو: أن يزيد ابن معاوية لما حاصر المدينة المشرفة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - وقتل من أهلها من قتل حتى خلا المسجد الشريف عن إقامة الصلاة فيه مدة، قال ابن المسيب: كنت فيه، وما كنت أعلم دخول الأوقات إلا بسماع الأذان والإقامة من داخل القبر المكرم.

ومما يرد أيضاً قوله ﷺ: «مررت بموسى ليلة أسري بي وهو قائم يصلي في قبره».

وقول عثمان رضي الله عنه لما قال له الصحابة رضي الله عنهم وقد حُوصِر: الحق بالشام، قال: لم أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله ﷺ فيها.

وإنما أطلت الكلام في هذا المبحث لأن فيه إتحافاً عظيماً للزائر الذي يقف بين يدي رسول الله ﷺ وهو يعلم أنه حيُّ حياة برزخية كاملة لائقة بمقامه، فهو يسمع صوته وتوسله وشغفه به، وسؤاله منه أن يشفع له إلى ربه حتى يرضى عنه ويعطيه ما يحبه من خيري الدنيا والآخرة، فأي فائدة أجُل من هذه الفائدة؟ وأي تحفة أعظم من هذه العائدة؟ فاشدد حينئذ بزيارته ﷺ يديك، واسع في تحصيلها ما أمكنك لتساق هذه الخيرات والفوائد عليك، وتحظى بالمثل في ذلك الموقف المتكفل بحصول المأمول وإجابة السؤال، وبصلاح الأحوال والسعي في التحلي

يحلّى أهل الكمال، ويمحق ما فرط من الزلات، وطهارة ما تدنس من
الأخلاق والصفات، حقق الله لنا ذلك، وخرق لنا العوائد لنكون من أهل
تلك المسالك بمنه وكرمه. آمين.

الخاتمة

في ذكر بعض الكتب والمصادر العلمية

اعتنى العلماء عناية عظيمة بقضية الزيارة النبوية فتحدثت عنها كتب الفقه والمناسك والمناقب والخصائص، وألفت فيها الكتب الخاصة المفردة في رسائل وبحوث صغيرة وكبيرة، وقد ذكرنا نصوص الفقهاء والمحدثين في هذا الموضوع من مصادرهما المختلفة، ويمكن تصنيفها على أربعة أقسام:

القسم الأول: كتب المناقب والخصائص.

القسم الثاني: كتب فقه المذاهب.

القسم الثالث: الكتب الخاصة بالزيارة.

القسم الرابع: كتب المناسك.

القسم الأول: كتب الخصائص والمناقب^(١)

١ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى للعلامة القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، وقد طبع بمصر مرات متعددة وعليه شروح وتعليقات، وطبع بدمشق بتحقيق وتصحيح جملة من علماء الشام وهم: الشيخ محمد أمين قره علي والشيخ أسامة الرفاعي والشيخ جمال السيروان والشيخ نور الدين قره علي بعناية مؤسسة علوم القرآن في مجلدين.

ومن أشهر شروحه شرح الشيخ علي بن سلطان بن محمد القاري المشهور بالملا علي قاري، وقد طبع على هامش شرح الخفاجي في أربعة مجلدات سنة ١٣٢٧ بالمطبعة الأزهرية بمصر.

وطبع مستقلاً في خمسة مجلدات طبعة جديدة بتعليق الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتي مصر سابقاً، بعناية مطبعة المدني سنة ١٣٩٨ هـ.

ومن أشهر شروح الشفا شرح العلامة الشيخ شهاب الدين الخفاجي المصري، وقد طبع مع شرح الملا علي قاري في أربعة مجلدات في المطبعة الأزهرية سنة ١٣٢٧ هـ، ونشرته مرة أخرى مصوراً المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

وقد قام الحافظ جلال الدين السيوطي بتخريج أحاديثه في جزء لطيف سماه «مناهل الصفا بتخريج أحاديث الشفا» طبع طبعة حجرية قديمة.

(١) يوجد في هذا القسم مباحث عن الزيارة.

وللعلامة الشيخ أحمد بن محمد بن محمد الشمني حاشية لطيفة عليه سماها «مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء». طبعت معه بمصر، وانتشرت بتصوير دار الكتب العلمية بيروت.

٢ - الدر المنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود ﷺ. لشيخ الإسلام الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي في ص ١٢٨ تحقيق الشيخ حسنين محمد مخلوف، طبع بمصر.

٣ - القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر السخاوي الشافعي في ص ٢٢١ طبعة بيروت لبنان.

٤ - الصلوات والبشر للإمام شيخ الإسلام محمد بن محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، صاحب القاموس في فصل، وقد طبع بدمشق سنة ١٣٨٥هـ بتحقيق الأستاذ محمد مطيع الحافظ، والأستاذ محمد نور الدين الجزائري وعبد.القادر الخياري.

٥ - المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للعلامة الشيخ أحمد بن محمد القسطلاني في الجزء الرابع المقصد العاشر الفصل الثاني ص ٥٧٠ بتحقيق صالح أحمد الشامي. طبعة المكتب الإسلامي بيروت.

٦ - شرح المواهب اللدنية للإمام العلامة الشيخ محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي. وقد طبع بمصر في ثمانية مجلدات، وبهامشه زاد المعاد.

٧ - الجامع لشعب الإيمان، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ج ٨ ص ٧٧. بتحقيق وتخريج مختار أحمد الندوي، طبعة الدار السلفية، بومباي - الهند.

- ٨ - المنهاج في شعب الإيمان، للحافظ أبي عبد الله الحسين بن الحسن الحليري، دار الفكر للطباعة والنشر.
- ٩ - كتاب فضائل الأعمال، للحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي، مطبعة دار العربي بمصر، نشر النمنكاني بالمدينة المنورة.

القسم الثاني: كتب فقه المذاهب

- ١ - الذخيرة للإمام شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي .
المجلد الثالث، الباب الحادي عشر في القدوم على ضريحه عليه السلام، طبعة دار الغرب الإسلامي .
- ٢ - تهذيب المطالب لعبد الحق الصقلي المالكي .
- ٣ - الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك،
للعلامة أبي البركات أحمد بن محمد بن أحمد الدردير ج ٢ ص ٣٨١ .
- ٤ - قوانين الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهية، للعلامة
محمد بن أحمد بن جزى الغرناطي المالكي، ص ١٣٦، تحقيق ومراجعة
الشيخ عبد الرحمن حسن محمود، طبع بمصر .
- ٥ - أسهل المدارك شرح إرشاد السالك في فقه إمام الأئمة مالك،
للشيخ أبي بكر بن حسن الكشناوي، ج ١ ص ٥٢١، طبع بمطبعة عيسى
الحلبي .
- ٦ - فتح القدير للشيخ كمال الدين بن الهمام الحنفي في المقصد
الثالث في الزيارة، ج ٣ ص ١٧٩ .
- ٧ - رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين ج ٢ ص ٢٥٧ .
- ٨ - المحلى لابن حزم ج ٥ ص ١٩٨ .
- ٩ - المجموع للشيخ محيي الدين بن شرف النووي على المذهب
للشيخ أبي إسحاق الشيرازي ج ٨ ص ٢٧٢ .
- ١٠ - شرح الشيخ جلال الدين محمد بن أحمد المحلي على
المنهاج للنووي ج ٢ ص ١٢٥ .

- ١١ - فتح الوهاب للشيخ أبي يحيى زكريا الأنصاري على منهج الطلاب له ج ١ ص ١٤٩.
- ١٢ - تحفة المحتاج للشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي ج ٤ ص ١٤٤.
- ١٣ - نهاية المحتاج للشيخ شمس الدين محمد بن أحمد أبي العباس الرملي ج ٣ ص ٣١٩.
- ١٤ - مغني المحتاج للشيخ محمد بن أحمد الخطيب الشربيني ج ١ ص ٥١٢.
- ١٥ - المغني للشيخ موفق الدين عبد الله بن قدامة ج ٣ ص ٥٥٦.
- ١٦ - الشرح الكبير للشيخ شمس الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن قدامة ج ٣ ص ٤٩٥.
- ١٧ - كشف القناع للشيخ منصور بن يونس البهوتي ج ٢ ص ٥٩٨.
- ١٨ - دليل الطالب للشيخ مرعي بن يوسف ص ٨٨.
- ١٩ - الفروع للشيخ العلامة الفقيه شمس الدين المقدسي محمد بن مفلح ج ٣ ص ٥٢٣.

القسم الثالث: الكتب الخاصة بالزيارة

١ - شفاء السقام في زيارة خير الأنام للإمام العلامة الفقيه المحدث تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي المتوفى سنة ٧٥٦، وهو أول وأجمع الكتب المتخصصة المستقلة في الكلام على مسألة الزيارة النبوية وشد الرحل إليها، وقد قال الحافظ الذهبي في مدح مؤلفه التقي السبكي:

لِيَهْنِ الْمُنْبِرَ الْأُمَوِي لَمَّا علاه الحاكم البحر التقي
شيوخ العصر أحفظهم جميعاً وأخطبهم وأقضاهم علي
فكتابه أنفس كتاب صنف في هذا الباب جمع فيه بين النقل
والعقل، وعظم الجناح النبوي الشريف ﷺ وبارك عليه، وكان عف
اللسان قوي الحجة ناصع البرهان، وقد حقق الأقوال في مسألة الزيارة
وغيرها من مباحث الكتاب تحقيقاً ما عليه مزيد.

وقال شيخنا العلامة شيخ المادحين بمكة المكرمة السيد محمد أمين
كتبي في قصيدة له ذكر في آخرها «شفاء السقام»:

ويح من قصر في حق الحبيب فاته من حبه أوفى نصيب
فله حق على كل قريب ويسعيد بأياده الجسم
وخذ التفصيل من لو أنهم قدما إذ ظلموا أنفسهم
وأحاديث رويناها لهم ساقها السبكي في شافي السقام
وقد طبع بمصر عدة مرات.

وقد جعله على عشرة أبواب ذكر فيها أحاديث الزيارة النبوية
وفضلها والحث على السفر إليها وتخريجها والرد على المنكرين، ودفع
شبه الخصوم، ونصوص العلماء في هذه المسألة، ثم ذكر ما يتبع ذلك

من الكلام على التوسل وحياة الأنبياء في برازخهم والشفاعة، وضمن كتابه هذا الرد على من زعم أن أحاديث الزيارة كلها موضوعة وأن السفر إليها بدعة غير مشروعة.

٢ - إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر في زيارة النبي ﷺ للشيخ الإمام العالم الحافظ الضابط أبي اليمن عبد الصمد ابن الشيخ الأجل أبي الحسن عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله القرشي الدمشقي المعروف بابن عساكر.

وهو جزء مخطوط يقع في ١٢٥ صفحة جاء في آخره:

(وتم استنساخها على يد الفقير محمد حسن بن محمد شمسية في الخامس عشر من جمادى من عام ألف وثلاثمائة وخمس وسبعين من الهجرة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم).

قال في أوله: أخبرنا الإمام العالم الحافظ أبو اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن عساكر الدمشقي بقراءة الإمام أبي عمرو عثمان التوزري وأنا حاضر بحرم سيدنا رسول الله ﷺ تجاه حجرته الشريفة في ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وستمائة، قال الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى الأمين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأهلهم أجمعين، ورضي الله عن الصحابة والتابعين وسائر عباد الله الصالحين وسلم عليه وعليهم آمين.. آمين..

٣ - رفع المنارة لتخريج أحاديث التوسل والزيارة، لأخينا الفاضل المحدث المسند الشيخ محمود سعيد ممدوح.

وهو كتاب عظيم يقع في ثلاثمائة صفحة استوعب فيه المؤلف ما يتعلق بأحاديث التوسل والزيارة، وقال في المقدمة:

وأما المقصود في مسألة الزيارة فهو إثبات إطباق فقهاء الأمة على استحباب أو وجوب زيارة المصطفى ﷺ بشد رحل أو بدونه، وأن من قال بتحريم الزيارة المستوجبة لشد الرحل قد ابتدع وخالف النصوص الصريحة وإطباق فقهاء مذهبه فضلاً عن المذاهب الأخرى.

ثم قال: شاع بين كثير من الناس أن أحاديث الزيارة كلها ضعيفة بل موضوعة وهو خطأ بلا ريب، ومصادمة لقواعد الأحاديث بلا مين، ويكفي اللبيب قول الذهبي الحافظ الناقد عن أحاديث الزيارة؛ طرده كلها لينة، لكن يتقوى بعضها ببعض، لأن ما في روايتها متهم بالكذب. نقله عنه السخاوي، وأقره في «المقاصد الحسنة» (ص ٤١٢) ومنشأ هذا الخطأ هو الاعتماد على كتاب «الصارم المنكي في الرد على السبكي» للحافظ أبي عبيد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي رحمه الله تعالى.

ولشيخنا المحدث السيد عبد العزيز الغماري كلمة جامعة عن «الصارم المنكي» ذكرها في كتابه «التهاني في التعقيب على موضوعات الصغاني» فقال:

وابن عبد الهادي سلك في ذلك الكتاب مسلك الإفراط الخارج عن قواعد أهل الحديث، فيجب الحذر منه زيادة على سوء الأدب في التعبير مع التقى السبكي الحافظ الثقة، وإتيانه في حقه بما لا يليق بأهل العلم سلوكه.

٤ - الجوهر المنظم في زيارة القبر النبوي الشريف المكرم، للعلامة الفقيه المحدث الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي المتوفى سنة ٩٧٣ هـ وقد طبع بمصر قديماً.

قال في مقدمته أنه رتب على مقدمة وثمانية أبواب فصول وخاتمة.

٥ - تحفة الزوار إلى قبر النبي المختار للشيخ ابن حجر أيضاً قال

في مقدمته: أنه رتبته على مقدمة وأربعة أبواب، قال ناشره المعلق عليه السيد أبو عمه: فإن يكن كتابنا هذا هو لابن حجر الهيتمي فهذا يعني أحد احتمالين:

الأول: أن يكون له كتابان في موضوع الزيارة.

الثاني: أن يكون قد كتب كتابه المسمى بالجواهر المنظم أولاً، وكتبه في ثمانية أبواب ومقدمة، ثم اختصره وسماه بتحفة الزوار إلى قبر النبي المختار، وكتبه في مقدمة وأربعة أبواب طلباً للاختصار... والله أعلم.

وقد طبع الكتاب بمصر سنة ١٤١٢هـ، ونشرته دار الصحابة للتراث بطنطا بتعليق وتحقيق السيد أبوعمه في ٢٠٠ صفحة.

٦ - الدرة الثمينة فيما لزائر النبي ﷺ إلى المدينة.

تأليف العلامة العارف بالله عز وجل الشيخ أحمد ابن المرحوم الشيخ محمد بن عبد رب النبي المدني الدجاني الأنصاري الملقب بالقشاشي.

وهو كتاب يقع في ١٥٠ صفحة، وقد طبع بمطبعة التقدم العلمية بمصر سنة ١٣٢٦هـ، قال في أولها: وقد رتب الرسالة على أربعة فصول وخاتمة بإذن الله...

الفصل الأول: في سر المدينة المشرفة وأسمائها.

الفصل الثاني: في بعض آداب السائرين وسيرهم وبعض شأنهم في ذلك.

الفصل الثالث: في مراتب الداخلين وتقاسيم دخولهم بحسب نزولهم وبحسب أحوالهم.

الفصل الرابع: في تبديل مراتب الداخلين بالشفاعة بعد الدخول.

الخاتمة: في جمل متفرقة ملحقة بذلك.

- ٧ - نفحات الرضا والقبول في فضائل المدينة وزيارة سيدنا الرسول ﷺ للعلامة المحدث المؤرخ الشيخ أحمد بن محمد الحضراوي المكي. وقد طبع في أول القرن الرابع عشر.
- ٨ - الذخائر القدسية في زيارة خير البرية. للعلامة الفقيه شيخ مشايخنا الشيخ عبد الحميد بن محمد علي قدس المكي. وطبع بمصر.
- ٩ - التوسل والزيارة.. للشيخ محمد الفقي، وقد طبع بمصر في مجلد في ٢٠٠ صفحة.
- ١٠ - مشارق الأنوار في زيارة النبي المختار للإمام المحدث الشيخ حسن العدوي المالكي.

القسم الرابع: كتب المناسك

١ - هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك، للإمام عز الدين بن جماعة الكناني، المجلد الثالث، الباب السادس عشر في زيارة سيدنا رسول الله ﷺ.

٢ - الإيضاح لمناسك الحج والعمرة للإمام العلامة الشيخ محيي الدين النووي، ص ٤٨٩.

٣ - الحج وأحكامه، تأليف وهبي سليمان غاوجي، طبع مؤسسة الرسالة ص ١٩٧. وقال في مسألة الزيارة: إن زيارة قبر رسول الله ﷺ بعد انتقاله سنة، ثبت ذلك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وفعل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وبالإجماع وعمل الناس والقياس.

يقول الفقير إلى الله كاتب هذه الرسالة: هذا ما تيسر لنا كتابته عن هذه المسألة. فإن كان صواباً فالحمد لله، وإن كان غير ذلك فلإنني بشرٌ أصيب وأخطيء، وكلٌّ منا يؤخذ منه ويُرَدُّ عليه إلا السيد المعصوم ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

وأعوذ بالله من المراء والجدال والخصام، أعوذ بالله من علم لا ينفع ودعاء لا يُسمع وقلب لا يخشع، وأعوذ بالله من كل سوء وشرٍّ وبلاء وشرك وبدعة، وأبرأ إلى الله مما تبرأ منه رسول الله ﷺ، وأقر بما أقر به ﷺ.

وأسأل الله أن يشبّني عليه حتى أموت عليه مسلماً موحداً مؤمناً بالله في بلاد الله وبين المؤمنين الموحدين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله

محمد رسول الله منذ أن جاء بهم سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ وسار على ذلك أصحابه وأتباعهم من أئمة السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. وكتب ذلك بقلمه وقال بضمه محمد بن علوي بن عباس المالكي مذهباً، السلفي عقيدة، المكي موطناً، الحسيني نسباً، عفا الله عنه، خادم العلم بالحرمين الشريفين.

المصادر

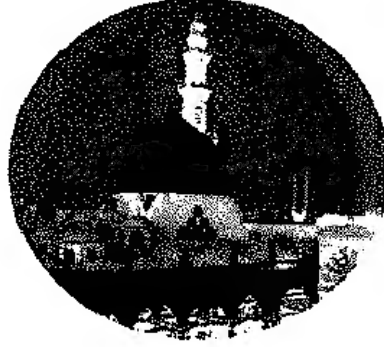
- تفسير القرآن العظيم للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير.
- الجامع لأحكام القرآن للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي.
- الموطأ للإمام مالك بن أنس.
- شرح الزرقاني على الموطأ للإمام محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني.
- فتح الباري على صحيح البخاري للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني.
- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري للشيخ محمد بن يوسف الكرمانى.
- فيض الباري شرح صحيح البخاري للشيخ محمد أنور الكشميري.
- شرح صحيح مسلم للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي.
- إكمال إكمال المعلم شرح صحيح مسلم للشيخ محمد بن خليفة الوشتاني الأبي.
- معالم السنن للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي.
- مختصر أبي داود للحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري.
- السنن للحافظ أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي.
- المستدرک على الصحيحين للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري.
- السنن للحافظ علي بن عمر الدارقطني.

- المصنف للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني.
- المصنف للحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة.
- المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني.
- دلائل النبوة للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي.
- مجمع الزوائد ومنتبج الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير للعلامة محمد عبد الرؤوف المناوي.
- الأذكار النووية للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي.
- مشكل الآثار للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي.
- الترغيب والترهيب للحافظ زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري.
- المنهاج في شعب الإيمان للحافظ أبي عبد الله الحسين بن الحسن الحلبي.
- حياة الأنبياء للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي.
- البيان والتحصيل للإمام أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي.
- المجموع شرح المذهب لمحيي الدين يحيى بن شرف النووي.
- الإيضاح في مناسك الحج للنووي.
- منهاج الطالبين وعمدة المفتين في الفقه للنووي.
- شرح المحلي على منهاج النووي للإمام جلال الدين بن أحمد المحلي.
- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج للشيخ محمد بن أحمد

- الخطيب الشربيني .
- نهاية المحتاج شرح المنهاج للشيخ شمس الدين محمد بن أحمد الرملي .
- فتح الوهاب على منهج الطلاب لأبي يحيى زكريا الأنصاري .
- كشف القناع عن متن الإقناع للشيخ منصور بن يونس بن إدريس البهوتي .
- المغني للشيخ موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة .
- الشرح الكبير على متن المقنع للشيخ شمس الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن قدامة المقدسي .
- الفروع للشيخ شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي .
- دليل الطالب للشيخ مرعي بن يوسف الكرمي .
- رد المختار على الدر المختار لابن عابدين .
- المحلى للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم .
- مجموعة فتاوى الشيخ محمد بن عبد الوهاب .
- التقريب والتيسير في معرفة سنن البشير النذير للنووي .
- تدريب الراوي في شرح تقريب النووي للمحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي .
- سير أعلام النبلاء للمحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال للمحافظ الذهبي .
- تاريخ دمشق الكبير للمحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله

ابن عساكر.

- البداية والنهاية للحافظ إسماعيل بن كثير.



هذا الكتاب

إذا كان للحج إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة مناسك وآداب تنبغي مراعاتها عند الأداء، فإن لمقام سيد الوجود - صلى الله عليه وسلم - في المدينة المنورة آداباً وفضائل وثمرات وفوائد تنبغي أن تُعرف قبل الدخول إلى تلك الحاضرة.

وهذا الكتاب الجليل الذي قام بتصنيفه عالم الحرمين الشريفين السيد العلامة محمد بن علوي المالكي الحسني، فيه بيان لتلك الآداب الشرعية، وتأسيس لمراسم زيارته صلى الله عليه وسلم وفق ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم، من أحاديث في فضائل زيارته حياً وميتاً، وبيان لما كان عليه صحابته الأجلاء رضي الله عنهم، والسلف الصالح والأئمة المعترفون من هذه الأمة في زيارتهم له صلى الله عليه وسلم وزيارة مسجده ومدينته الطيبة.



منشورات المجمع الثقافي

Cultural Foundation Publications

ابوظبي - الإمارات العربية المتحدة - ص. ب 2380 - هاتف : 6215300

ABU DHABI - U. A. E. - P. O. BOX : 2380 - TEL. 6215300 Cultural Foundation

Email: nlibrary@ns1.cultural.org.ae

<http://WWW.Cultural.org.ae>

To: www.al-mostafa.com